

Cher

كتاب

اليمان في النذور وأسباب

الدممران اعتنى بجمعه وتأليفه

الشاب النجيب والبارع اللبيب

رفيق بك نجل المرحوم محمود

بك الشهير بان

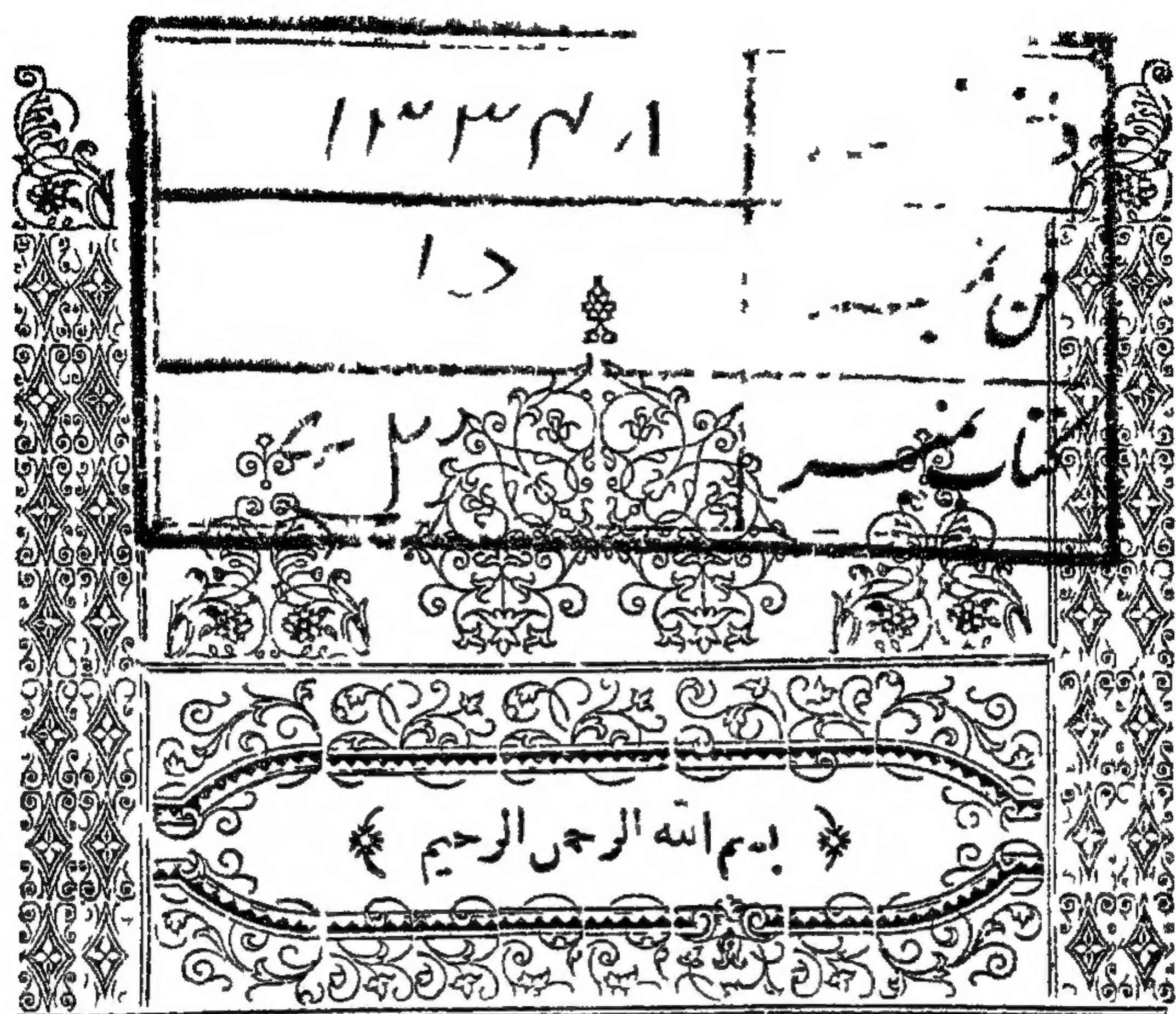
العام

٢١٠

الطبعة الاولى

بالمطبعة الاعلامية بمصر

سنة ١٣٠٤



الحمد لله الذي تمصل على هذا النوع البشري بأن زينه بالعقل
وحد له لهجة يرجع إليها إذا كهرت طامة الجهل من قضاة
حكيمته بأن التقدم والعمران موقوفان على العدل والاحسان
وانما جاءت به الرسل من البيان وصلى الله على سيدنا محمد أعظم
الانبياء شأنا وأوضههم محجة وبرها الذي امتدت أشعة نبوته
في جميع الاقطار فابانت للناس سبل التقدم بما انبثت عنهم من
الانوار وعلى آله شمس الآفاق وأصحابه المنعوتين بـ **كأرم**
الاحلاق **و**ويعدهم فلما كانت الالة الجنسية والرابطة الوطنية
مما يدعوان الانسان الى كل عمل تشاء عنه فائدة الاوطان لاسيما
وطنتنا الكريمة فانه باحتياج عظيم لاسباب التقدم والعمران
واسترجاع

واسترجاع ما استلته منه حوادث الارمان بادرت لجمع هذا الكتاب
عسى ان يكون به منفعة استوحب بها الثواب مرتباً له على مقدمة
وثلاثة أبواب وتسعة فصول وخاتمة والله سبحانه وتعالى هو المسئول
ان يجعله بين الناس حائز القبول ويهدينا جميعاً الى سبيل الرشاد
ويرشدنا الى خير البلاد آمين

﴿ المقدمة ﴾

اعلم أن السبب المحمل على تأليف هذا الكتاب هو القيام بما يجب
على الانسان من الخدمة الوطنية اللازمة على سائر أفراد الهيئته
الاجتماعية التي تبرز من مهمات مصالحها بأجراء جميع الوسائل
الباعثة على تقدمها وعمران بلادها والمحت لذوى العيرة من الامة
على اتخاذ الطرق التي لا تنافي وجوب الاصلاحات الوطنية وترغيب
أفراد هيئته الاجتماع في الاسباب الموصلة لتقدمها والاطمان
وعمرانها وتقدمها وتوفر ثروتها من المصارف اللازمة لها من الاهمال
المصادر عن الاهالى الذين أفضى بهم الكسل الى الاحتياج حتى في
ملايس أبدانهم الى غيرهم مع وجود الكفاية فيهم ودراباتهم بالمصانع
والتمس بنعائس الفسوس وذلك من المصائب الملمة بالاطمان التي
جعلت هذه الامة متأخرة في ميادين الثروة والشهرة مبهمة
للأوربا وبين اجتماع ثمرات متاعها ومنعاص در بلادها والاهالى
في غفلة من زمانهم لا يعرفون من التقدم سوى الاقدام على ما لا يرضاهم
الهمم البشرية المعطورة على حب التقدم والتعزز واباء الحضارة والتأخر

حالة كبر لا بعد الوطن متمدنا ما تتوفر في أهله جميع الأسباب
المدنية كالإقبال على طالب العلوم والمعارف وحب العلم وروادع
وانشاء المعامل والمدارس واستحصال جميع الادوات الحسية والمعموية
اللازمة للحياة الحضريه والتميز بالمرأيا الشريفة ليس المدن
الأنهالك على الشهوات الخواسيه وحب الراحة والسكسل الذي
يفضي بالانسان الى الدرجة الحيوانيه هذا

ولما كانت الديانة الاسلاميه لا تحظر جلب المصلحة ولا درأ المصيبة
وحب على رؤساء المملكة وعلمائها تدوير مصالح الناس بايجاد السبل
المزديقة للتقدم والترقي واعادة روفق بحده هذه الامم لما كانت عليه
أولاً من التقدم والسطة للذين سبها في اول من حيل تعميم
شر بيتها في عالم الاقطار و جعلها أول أمه تفهنت باستخراج كنوز
الحضارات العلمية مما شهد لها بذلك غالب الأمم المتقدمة الا و باووية
لكن ما طرأ عليها في السنين المنوسعة لمعمره من الحوادث العظيمة
وتعريق الكلمة كما ينبغي في الحاشية ذهب ببعض روافدنا على انه
اد التحذير رؤساء المملكة على استرجاع ما سلب من مجدنا بتدبيرهم
ياقل من قليل اعادتهم الى مركزها الاصلي التي كانت تدور عليه
معارفهم الناشئة عن حسن السياسة والحكمة والذبير وتقدمهم
بين الأمم يتابعهم خطط التقدم والنقد الحقيقي لا كما ينصرونه
تص الجامعة من انطبعت أفكارهم على السذاجة من انه لجرد النهرج
والزينة بالملابس الاورنمية بحور الانوار درحات التقدم والنهال

المدنية على ان ذلك بعكس ما يقتضيه الحال في هذين الامرين بل
ومن الامور التي تلاقى الاوطان في وهاد التآحر والاضحلال فاما
الاول وهو كثرتهم بما ذكر عن البحث في الامم - وللمدنية
والاطلاع على ما كانت عليه هذه الامة من الحضارة والثقة - عدم
وما آت اليه حالها وكيف انتعشت بها الامم الاوربية بما نقلته
منها من العلوم التي نحن احق التمسك فيها واستزادها
وأما الثاني فهو عجز التآحر كما ذكرنا اذ هم - م - بسببون بذلك رواج
الاقمشة والبضاعة الاحندية كما يشأ عنه كساد بضاعتهم ويصيق
نطاق تجارتهم التي تنوق على رواجها معيشة الوف من الوطنيين
وذلك كالذي يباح مثلا فانه لا ينسجج ويصير ثوبا مالم تعد اوله بالثمن
عدة ايد كرى دود القز ويستخرج الحرير وصانع ادواته ومصالحه
وصباغته وباصحبه وصافله وتآحره الى ما ينع مع ربحه حلة اناس ربحا
تكون اسباب معاشهم مقصورة على هذه الصناعة لان اغلب الفقراء
لا يستطيعون شغلهم كثير بتعليم عدة كارات او حرف اذان ايامهم
محصورة على اهلهم فيقتصرون على تعليم صناعة واحدة كهذه مثلا
وبسببها يتعطل حالهم وفصلها عن ذلك فانه ينشأ عن وقوف حاله
التجارة لوطنية عدم اقدام ارباب الحرف والصناعات على اختراع
شكل جديد وعمل مهيد نظرا لرواج البضاعة الاحندية التي تصدهم
عن اقتحام الاعمال وتسكيد المصاريف الا يلة الى الحسارة وبالجملة
فان ما يترتب على ذلك من المصادرة ان يحصى وهذا لكسل المستحور

على بعض الاهالي واكتفى منهم من التمدن على الزينة والتبهرح
 كما ذكرنا وانكارهم كل عمل حديد مفيد للوطن وقوله هم انه مناف
 للشرع وينسبون تلك الى المضار التي يجلبونها للبلاد ببيع افعالهم
 وسع سطه اقوالهم ومع ذلك يحفلون ان كل امة متمدنة تحاور أخرى
 غير متمدنة توشك ان تكون فريسة لها (يعني للتمدنة) ومن تأمل
 اصول الشريعة الاسلامية يجد ما تحت الامة على كل ما يدفع عنها
 عائلته غيرها وكيف ونحن الآن في زمن جديد قد اتسعت فيه دائرة
 المعارف وقرب تواصل الابدان والبلدان بما اخترعوه من السكك
 الحديدية والآلات الكهربائية والسفن البخارية الى غير ذلك مما
 سهل الاشغال وسبب رواج التحارات والتسابق اليها في الاقطار
 فلا بأس من أخذ بعض المعارف التي تدفع بها كبد العدو وذلك بواسطة
 العلماء الاسلاميين وبيانهم للناس الطرق السهلة التي لا تنافي
 الاصول والقواعد الشرعية كما تقدم اذ ان كنفاء غالب العامة بامور
 مزعمونها عن التمدن قد اضر بمصلحة الامة ضررا بليعا فهم
 لا يتركونها ويعدون لمركزهم الاصل ولا يتعمقون واجباتها
 ليتحصلوا على ثمرتها قلت شعرا

لقد كنت من همد بسوداء قلاها * تواليك بالاحسان والوصل والود
 فملت الى ليلى تحاول وصلاها * فلا سمعت الى وأحوت من همد
 هـ هذا وما كان العرض المقصود من هذا الكتاب هو بيان اصول
 التمدن الناشئ عنه عمران البلاد وان اول درجة من درجات التمدن

اتباع ما جاء به الشرع وسنة الرسول وان تكون الامة متحدة على
نشر العلوم والمعارف حائزة كمال الحرية المؤسسة على العدل محبة
للغير مستحوذة على خصال التأييد محتفظة كل ما تمجده الطبائع
المدنية من العوائد البربرية مضممة على كلمة الوطن وحليب ما يعود
نفعه على البلاد التي يكون أساس قرونها وسبب تقدمها العدل الذي
هو حياة الممالك اقتضى ان أبين ذلك كل باب على حدته ان شاء الله
تعالى فاقول

﴿ الباب الاول في ميل الانسان للحضارة والتقدم بالطبع ﴾
﴿ وحقيقة التمدن الذي هو اتباع ما جاء به الشرع ﴾

﴿ وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول في قابلية الانسان للتربية وطالب العمران ﴾
اعلم اننا اذا تأملنا في الانسان من حيث ناطقيته وعظيم بغيته وبعثا
أودعه الله به من سر القوى العاقبة والصفات البشرية وسداده
قابلا للتربية ما أثلا بالطبع للعزف على ما عده من جميع الحيوان
متسلطا مصع اذراكه العقلية على المواليد الحيوانية والنباتية
والمعدنية محبا للتأييد والاحتتماعات البشرية ليدفع بها عوائل
من عدها ويأمن على نفسه فان الله سبحانه وتعالى كما فصل الانسان
على ما عده من الحيوان عزية العقل والادراك والناطقة التي يتحصل
بها على الالفية الجنسية والتأييد والاجتماعات البشرية التي
يدفع بها العوائل الحيوانية كذلك حص بقية الحيوانات على اختلاف

اجناسها وتباين أشكالها بما لم يحص به الانسان نفص بعضها
بالقوة والهاش كالاسد لم يه يره وخص بالعدو من هو أضعف
منه قوة وأصغر جثة كالمنزل أنيجو بقوة عدوه من كيد عدوه ومنها
ما خصه بخلاف الخلد ليدفع عنه شر الحركا ليعيل وكالسنور بالهراء وكثرة
الشعر ليقى به ما شر البرد وكالارنب بكثرة السمع واليقظة ليعلم من شر
الاعتيال وهكذا جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها عالما بالانسان
بالنسبة انهم يحتاج في جميع ذلك لاستعمال قواه الفكرية وحواسه
العقائمية كما لا يتم له ذلك الا بقوة الاجتماعات البشرية ولا لكمة
التأديسية التي هي معه غير مزية طبيعية وبها يمكنه اعمال جميع
قواه الفكرية للاستعمال على درجات الحصاره ولعمران واحتفاء
ثمرات التمدن والمهارة في سائر اعماله والاولى لاجبه للاحقة والاتحاد
وتعضيله الامتزاج عن الوحدة والانعزاد ليكون فريسة لغيره خائفا
على الدوام في نفسه وتلك المزايا البشرية التي حص بها كما ذكرنا
وبقوة الاجتماع وانصمام القوي العقائمية البشرية للبحث عن ما
اشتملت عليه الكائنات من البعثات واستقصاء اسباب التمدن
وانتقدم يحصل على نتائج السعادة الدنيوية والاخروية

ثم ان الانسان يختلف بعضه بالتمدن والحضارة وحب التقدم وبعضه
بالدعة والسكون وحب الكسل والبعض لا يكاد يميز عن الحالة
الوحشية الالهيمية البشرية وبعض استعمال القوي العقائمية فالنوع
الاول من تمكنت منه اسباب التربية البشرية والحالة الحضارية

البدنية والقوى التي لذي لعدم استكمال تلك التربية فيه
وتكثرها منه يكون عالياً مولداً يحب الدعوة ما ثللاً كـ لـ والبوع
الثالث هو الذي يفضل أفعاله الحسية الفورية عن الاحتياط
والاستزاج بمن حاوره من الأمم ويكون في حالة حتمية بعيداً عن
التحديق والمصار مشهوراً بالمعاقبة والقسوة

فأما النوع الأول فهو غي باستكمال التربية فيه وتمكنه من
الحث على طلب أسباب المضار والتقدم وتأييد الهمة الإنسانية
فيه كإبوة له في جميع مقاصده إذ هي تسلط على من جاوره ويحوز
كمال الشرف وما ذبح المقام

وأما الثاني يعني المسائل للدعة التي هي في الإنسان عزيزة طبيعية
فهو الذي يكون مواعداً بالقره الشهوانية التي هي في الحقيقة خادمة
للجسم مذمومة أحياناً في الإنسان وتلك القوة هي التي تجذب الإنسان
عقب تهب الأعمال الفكرية والبدنية إلى الراحة والسكون كما
تدفعه قوة العمل عن مركز البطالة وحب النشاط والحركة
والاعمال وهاتان القوتان هما حالانسان حالانسان في الإنسان
لا يمكن أن ترجح أحدهما عن الأخرى بل هما في الإنسان على
حد سواء

فالأولى تسمى قوة الشهوة والملاذ التي تدعو الإنسان لجميع الملاذ
البدنية وتلقيه في مهاوى التأنير وحب الشهوات الحواسية وتوصله
إلى الدرجة الحيوانية وأما الثانية فتسمى بقوة الأمل والعمل وهي

التي تبعت الانسان على حب الاثرة والتقدم وكمال الائتناس وبها
تكون راحة الروح واستكمال مصيلة النفس والروح النورية
أو النفس التي تكون قد حارت المصيلة التامة حيث تجمع في
الانسان ضروب السلطنة العقلية وتبديل درجات الكمال
الكاملة المدنية وهاتان الذاتان المبدأيتان وان اشترك
فيهما جميع النوع البشري على اختلاف طبقاته وتباين
درجاته الأربعة العسل منحة الهية ولذة المكمل والدعة محنة
شهوانية

ومن فضل الله سبحانه وتعالى على عبده ان علمه وحوه المكاسب
وأوقفه على دقائق العمون والصنائع حيث دم البطالة ومدح السعي
بقوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى) وقال تعالى
(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أي
اطلبوا المعاش الذي به قوام حياتكم ومصل الله هو رزقه الذي
تفضل به على عباده والسعي مشكور في جميع الاحوال والبطالة
لا تقبل لصاحبها الا الذل والحرمان ومن شأن البطالة ان تبطل
الهيئات الانسانية فان كل عضو أو جزء من أجزاء الجسم اذا ترك
استعماله تطلت حركته كالعين اذا أغضت واليد اذا شات ولا كل
عضو في الانسان كمية له وحركة جعلها فيه لتتحد الحركات بعضها
مع بعض وتصل بحركة واحدة وهي حركة مجموع الاعصاب البدنية
التي يقوى بها الانسان على السعي وطلب الرزق فان الله سبحانه

وتعالى

وتعالى لما جعل للحيوان قوة التحرك العظيمة لم يجعل له رزقا
يسعى ما

ومن هنا لا ينبغي أن يتوهم أن هذا مناف للتوكل بل التوكل لا بد منه
في جميع الأحوال إنما يكون مع مبادئة الأسباب فقد ورد في الخبر
عن خير البشر أن الله يقول يا عدي حرك يدك انزل عليك الرزق
وفي قصة السيدة مريم عليها السلام كرملة وأعظم معجزة لها
كفها سبحانه وتعالى مؤنة الطالب بأن أمرها بهز النخلة ولم يحنها لها
وهو قوله تعالى (وهزي إليك يجمع النخلة تساقط عليه ثمرها
جنيا) وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن التوكل ليس
الاعتماد بل لا بد فيه من نوع من السبب فقال عليه الصلاة والسلام
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تعدون خصاصا
وتروح بطائفا فان الطير ترزق بالطاب والسعي

نعم لا ينبغي الإفراط في الكد والكد كما لا ينبغي قطع النظر
عن الاستراحة في بعض الأحيان والاعتدال اليق في جميع
الأحوال

وانرجع الآن إلى بحثنا الأول وهو أن نبي النوع الثالث الذي
يفضل أفعته الخنسية النوعية عن الاحتياط عن جاوره من الأمم
المتعدنة كما تقدم وهذا النوع لا يكاد يعلم أي الأمرين غالب عليه
أحب الدعة والسكون أم حب الأمل والعمل فأنك تراهم من جهة
دائما يكاف نفسه باحتمال المشاق والاعتماد بتجوله بين الجبال

والقفار واقحامه مواقع الشرور والاهوال ومن جهة أخرى
لا تكاد ترى له عملاً يحمد أبداً وهو في منزل عن سائر أسباب الحضارة
والفلاح وافعاله أشبه بافعال الوحوش وما ذلك إلا لأنه منزه عن
المخالطة والالتباس بمن حاوره من الأمم المتعددة على أنه قابل في
كل آن لتربية وتهذيب لاستكمال القوى لبشرية فيه وتتمام
الباطنية التي يمكن بها التناسل بالناس واستعمال الوسائل الموصلة
للحضارة والتقدم وحب العمران فان من منحه الله سبحانه وتعالى
أن يخص الإنسان بالصفت المعنوية التي هي أسرار الباطنية وجعل
له العقل سراجاً يهدي به إلى سبل العوز والنجاح ويدرك ما شتمت
عليه الكائنات من الجهل والعدالة على القدر الإلهية والحكمة
الصمدانية ومن أهم ما أنعم الله به على عباده من الأسباب المؤدية
إلى التقدم والسعادة الدنيوية والاخروية أرساله الرسل
بالشرائع الحقة وبيانهم للناس أسرار الأمور وانتشالهم من ورطات
التهور والجهل بالحقائق والمصنوعات وإرشادهم إلى انتظام
أحوالهم وتقديمهم وسبل طرق الآداب الإنسانية والتمسك
بالأخلاق الحميدة المدنية ولاشك أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
أنعمهم الأنبياء شأناً وأوضحهم محجة وبرهاناً وإن شريعتهم هي
الشريعة المؤسسة على العدل الداعية إلى كرم الأخلاق ومحاسن
الأفعال كما سأل الله في الفصل الثاني أن شاء الله تعالى

الفصل الثاني في قابلية الامة الاسلامية للتميز أكثر من غيرها
 وذلك انما اذا اعتبرنا أصول الشريعة الاسلامية نجدها أساس التميز من
 جميع النوع البشري بما اشتملت عليه من الآداب الدينية والعدالة
 والحث على الصالحات بجميع الحاصلات الحميدة المدبوبة اليها كل فرد
 من افراد الامة الاسلامية لكن لما كان غالب العلماء مكثفيا عن
 تلك الأصول ، علم فرائضه الدينية فقط وكان الوقوف على معرفة
 تمام الاحكام الدينية مخصوصا بالعلماء والمتفقهين كان أكثر
 العامة يجهل تلك الأصول والقواعد الدينية على العدل الداعية
 للتميز المرشدة على العماليات ولذلك اذا طرأ على مسامعهم ان
 المحاكم امر باجراء أمر ما في البلاد لم يطارأ على مسامعهم من قبل
 يتألبون ويهيجون بقولهم ان هذا شيء مما يراد بالشرع على ان المحاكم
 العاقلية في حق ان نظام هذه لا يتم الا باجراء تمام الأصول
 الشرعية لانهم قد ينهرون من اجراء بعض المستحبات لهم عدم معرفتهم
 بالحقيقة التي ربما يظهر لهم أخيرا انواعا من خارجة عملا أمر به
 الشارع فكيف اذا اراد لاقبالا بامر عقلي يكرهه - اي به كل
 الانكار ورام به بين الناس وفهم - الا عن ذلك فان المحاكم العاقلية
 العادل لا يحتاج في جميع أعماله الى التحصيلات والتمحيضات
 العقلية لان الشريعة الاسلامية ما تترك شيئا من الامور الدينية
 والدينية الا وحسنه - مع بيان تفصيل ما يحسن العمل به
 وما لا يحسن وهو معلوم ان ما لا يحسنه الشرع لا يحسنه العقل وقد

دونت الائمة المجتهدون في ذلك كناية الانتحصى فانتهوا غير انه
 الاصلاحات الحبرية في البلاد وبيان اسباب التمدن من
 منوطة بالحكام دون العلماء كانت العامة تذكر كل عام
 الحماكم الا باذن الشارع حتى تطمئن قلوبهم بالعمل به كما عدم
 وجب على الحكام الاشتركة مع العلماء لبيان اسباب التمدن
 الشرعية واثبات اسباب السعادة وانوار التمدن شيئا فشيئا لم تكن
 التريسة الا هدية منهم على ان آدابهم الدينية وواجباتهم شرعية
 كافية للتخاف بالاحلاق الحبيدة والتأديب بالآداب الانسانية
 والتهذب للعقول البشرية بخلاف ما عومشاهد الان من غالب
 المدعين بالتمدن وحب الشرف الانساني من الافعال التي تأبها
 النفوس الاسلامية الشريفة التي تصطرهم الى اجتناب آدابهم
 الدينية وشهامتهم الاسلامية واحصها صيانة العرض والحلم فان
 هذه الامة قابلة للتمدن اكثر من عداها من الامم لما تأسست عليه
 شريعتها من العدل الذي هو رأس كل فضيلة ولما تعاضدوا امر
 الالهية والنمساك بالاصول الدينية الداعية لخير ونجاح الدنيا وثواب
 الآخرة فقد قال وحيد عصره احمد افندي فارس في كتاب رحلته
 المسمى بكشف المحجبات عن فيون اوربا عند ذكره وصف باربي
 واحوال الفرنسيين ما نصه ومن ذلك انهم لا يزالون ينقرون عن
 الحقائق ويودون لو يعلمون كل امر من نصه وقد خرقوا في كل علم
 وبرهوا في كل فن ومع ذلك فقد عذب عنهم اهم الحقائق وهما

ضرورة وجود الدين لكل من السائد والمسيود والرئيس والمرؤس
ولوسلم لهم بان الكيسين وأهل المعارف والآداب غيبون عنه بما
فطروا عليه من حسن الاحلاق أو حسن نوابه املاءهم من مطالعة
الكتب لم نسلم بان الرعاع الدين هم الجمهور الاعظم في كل البلاد
غير معتقرين الى دين يردعهم عن الشرور والمعاصي ويحثهم على فعل
الخيرات ولولا ذلك لاكل القوي الضعيف فان قلت كيف يأكله
والحاكم من ورائه قلت ليس في كل الامور يمكن استحضار الحاكم
والاستعانة به الا ترى انه اذا اجتمع مثل اثنان وطمش القوي
منهم بالضعيف او يكون صاحب الحكم عين باصرة او اذن سامعة
للقصاص وكم من قضية جرت بين الناس وفاتت احتسابا داهل
السياسة والايالة ولكن اذا كان الناس يستحضرون حالهم في السر
والعلن ويتخافون عقابه ويرجون ثوابه كان لهم بذلك اعظم رادع
ووزع فانه صاف امة بدم الدين من اعظم ما يبين شرفها ويخص
قدرها انتهى كلامه بحروفه

﴿ الفصل الثاني في حقيقة التمدن الذي هو اتباع ما جاء به ﴾

﴿ الشرع وسنه الرسول ﴾

اعلم ان اول درجة من درجات التمدن هو اتباع ما جاء به الشرع وسنه
الرسول والاتباع بالنواميس الالهية وتصديق ما انزل الله من الكلام
على انبيائه عليهم الصلاة والسلام اذان كل من طالب الشرائع

معرضة عما أمر الله من اتباع سنن المعروف والاذعان للأوامر الإلهية
 بعد أنزل حاهل قد اعتمدت بصيرة وسواس الشيطان وهو لا شك عديم
 التبصر ما عده من ادراكات ذوى العقول البشرية المدبرة والادرة
 فإن كل ما تافى به الرسل هو عين التمدن الحقيقي والعاقل البصير
 لا يشك فيما أنزل الله وسنه الرسل وما يرشده إلى سبل الهداية
 الدنيوية والأخروية ويبين للإنسان عظم القدرة الإلهية ونهضه في
 عبادة الله وانما حاشيت به الشريعة الإسلامية من الأصول
 والأحكام هو الذي نشر التمدن في أوطانهم لم يما ابعت عنه من
 أنوار الهدى والعدالة التي عمت سائر الآفاق فحقت طلائع الجهالة
 والاستبداد ومن تأمل فيما كانت عليه أكثر الأمم السالفة من التهور
 والسذاجة وقاسها بمن جاءهم بعد ظهور راية الإسلام به تحقق
 له صدق ذلك على أنه لا يخالف فيه عاقلان فقد قال النبي صلى الله
 عليه وسلم أتيتكم بشريعة حنبلية بيضاء لم يأت بها أي قبلي ولو كان
 أخي موسى حيا لم يسععه إلا أني عني وقال عليه الصلاة والسلام إن الله
 بعثني إتماما لمكارم الأخلاق وكما محاسن الأفعال وقال تعالى في
 كتابه الكريم (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله
 بأدبه وسراجا منيرا) وقال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)
 فلا شك أن الله سبحانه وتعالى إلى رحم عباده بهذا النبي الكريم تاني
 بما لم يأت به نبي من قبله من مظاهر حقيقة الحق للمناس كاشها لهم عما
 اشتبهت عليه الكائنات من حقائق الحكم الدالة على واحدانية

الله سبحانه وتعالى إلى ميدهم بذلك الطرق المؤدية لخبر الدين والدنيا
 ليبرزوا الحسن من القبيح ويفرقوا بين القيم والأهيج فانتشـر
 به صلى الله عليه وسلم هذا العالم من حضيض الخيرة والصلال وكانت
 شريعته سبب انتظام العالم وأمنته خیرامة أنجحت للناس وبها
 انتشر التمدن في الاقطار وانبثت في الناس روح الحضارة والتقدم
 بما رفع عن عاتقهم من ثقل الجور والتهور والاستبداد ولما كانت
 الملوك الاسلامية لا تعز عن الفتوحات وبث العلوم والمعارف في
 الناس كانت الحضارة والتقدم ينتشران شيئاً فشيئاً في الارض حتى
 تيسر لهم بزمن قليل تمدن أكثر العالم بواسطة فتوحاتهم العظيمة
 وتقدمهم في البلاد التي نالت بحملوهم أسباب المعاداة والترقي وكلما
 فتحوه من البلاد رغبوا أهلها في الدخول في هذا الدين القويم وترك
 التهور والاضلال وما مضى على ذلك الاسـسـين قلائل حتى انتشر
 الاسلام من الشرق في الهند إلى الغرب في بلاد الاندلس (اسبانيا)
 والاستيلاء على هذا كله مما يتعذر على أعظم دولة الاسـتـيلاء عليه
 بحوله قرون وهذا أعظم دليل على ما بنى عليه هذا الدين من قواعد
 العدل وأساس التمدن ومن نظر في قوانين وأحكام باقى الامم
 المتقدمة التي توصلت اليها عقولهم بالاسـتـبـاطات التي وضعوها
 بقوانين مخصوصة للعالم وجد أن تلك القوانين التي جعلوها
 أساساً لا أحكام قل ان تخرج عن الاصول التي بنيت عليها الفروع
 الفقهية التي علمها مدارا المعاملات بين الناس وعبر عن تلك

القوانين العامة رفاعه بك المسمى بما عساهما يسمى عندنا
 بهلم أصول الفقه يسمى ما يشاء عندهم بالحقوق الطبيعية والروايس
 الفطرية وهو عبارة عن قواعد عقائدية تحسبنا وقتها ونسبون عاينها
 احكامهم المدنية وما تسميه بالعدل والاحسان يعبرون عنه بالحرية
 والنسوية أقول وهذه القوانين هي القوانين المدنية المستعمل
 غالبها الآن عند الحكومة المصرية وبالجمله فان الشريعة الاسلامية
 هي التي نظمت العالم بالقوانين الالهية المبينة على العدل والانصاف
 كما تقتضيه الاوامر الصورية من نظام هذا العالم وبيان حسن
 معاشيتهم ومنعهم عن الجور والتصدى لحقوق بعضهم لاجل ان
 ينالوا بذلك معاش الدنيا وثواب الآخرة وان عين التمدن هو ما
 جاءت به الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام واتباع ما منه الشرع
 وأمر به الرسول مع اتحاد الامة على طلب العلوم والمعارف واحراز
 التأييد منها والطارف

﴿ الساب الثاني في في العلوم والمعارف ﴾

﴿ والمحث على التمتع بظلمها الوارف وفيه فصلان ﴾

﴿ الفصل الاول في العلوم وأصول التعلم والتعليم ﴾

﴿ ويبين ما في ذلك من النفع العميم ﴾

اعلم أن من أقوى أسباب سعادة الامة وبقائهها قولها بالعلوم
 والمعارف الجسالية بخير اليه ذو ثروة العباد التي بها يهـ لو منار

التمدن

التمدد والسعادة وتكسب المملكة رونق المجد والسيادة وهذا
الامر ان هماركنا الاوطان وأساسا عناها وتقدمها وبها يحصل
الانسان على ثمرات المجد والفخار ولما كانت العلوم هي التي
علم سامدار الجراح وبها يترقى الانسان الى درجات المعارف
والعلاج اقتضى ان نبين أولاً أصول التعلم والتعليم معرضين في ذلك
عن زيادة التطويل والاسهاب فنقول العلم هو ما يتوصل به الانسان
لمعرفة المجهولات من الاشياء التي لانتم معرفتها الا بالبحث والاطلاع
وهو صفة راسخة يدرك بها الكليات والجرئيات وقيل العلم وصول
النفس الى معنى الشيء وقيل انه غنى عن التمرين وقيل زوال الخفاء
من المعلوم والجهل بقبضه

والتعلم هو جزء من التربية المعنوية لان التربية نوعان التربية الحسية
وهي تربية الجسم وتنميتها والتربية المعنوية وهي تربية الروح
يعني تهذيب العقل وترويض الدهن والفكر وقسم هذه التربية
العلامة رفاعة بك المصري الى ثلاثة أقسام القسم الاول تربية النوع
البشري يعني تربية الانسان من حيث هو وانسان يعني تنمية مواده
الجسمية وحواسه العقلية القسم الثاني تربية افراد الانسان يعني
تربية الامم والمال والقسم الثالث التربية العمومية لكل انسان
في خاصة نفسه وهي تربية الانسان الخصوصية فالقسم الاول طبيعي
الا انه كالشجرة الصغيرة التي تكون في اول عمرها لا تكبر وتغزو
ويطيب عمرها ما لم تتعهد بها بالتقليم والمساء في اوقات معينة وتكون

أرضها حديدية التربة طيبة الثرى فينتدنتهم ويحسن شكلها
ويطيب ثمرها ولذلك لا يكون هذا القسم غالباً إلا أيام الشبيبة
والصبا الذين يفوتهم ما يفوت المرء ما يؤمله من تحصيل أساليب
المعاشرة والسياسة ولذلك ينبغي لـ كل إنسان أن لا يضيع
أوقات شبابه سدى مشغولاً بما يذيقه عاقبة مرارة الندامة والحرمان
شعرا

أن الصبا فرصة أن كنت تكسبها * فلت المراد وان أغفلتها تزل
ومما ينسب إلى الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه قوله
أليس من الخسران أن لا ياليا * ثم بلاء لم وتحسب من عمري
وبالجملة قالت لم في سن الشبوبة أمر ع لتحصيل العلوم واليق ومهما
اجتهد الإنسان عند بلوغه من الكبر لا يستعيد ما يستفيد منه الشاب
بزمن قابل من حياته

القسم الثاني هو تعاليم أحكام الدين الواجب معرفتها على كل
إنسان وهذا غالباً لا يكون بهداه الله سبحانه وتعالى ومن رحمة
سبحانه بالعبـد أن ينور بصـمته وقلبه ليـعرف حقيقة الحق وقدرته
العظيمة التي تحير العقول ويأخذ بها جاءت به الرسل من البينات إلا
من أضله الجهل بالحقائق وأعماه الغرور

واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد شرف دين الأسـلام على ما سواه من
الاديان بما حصـه من المراتب الشريفة العظيمة وأجـاهلها معرفة الله
سبحانه وتعالى والافرار بوجه دانيته الصمدية والوقوف على حقيقة

الموجودات

الموجودات الدالة على بدیع صنعها والتمتع بالحقوق الانسانية بدون اعتداء الناس بعضهم على بعض بما اشتمل عليه من القوانين الالهية والاصول الشرعية التي مرجعها القرآن الشريف المنزل بالحق على نبيه الـ كرم صلى الله عليه وسلم فاذلک يجب على المسلم لم تعایم الاحكام الدينية والاصول الفقهية ولو توفى على دقائق العلوم الشرعية لقوله صلى الله عليه وسلم افدوة في طلب العلم أحب الى من مائة غزوة وقوله صلى الله عليه وسلم لم ان الملائكة تنزع أجفنتها الطالب العلم وما جاء بفضل العلم والعلمااء قل ان يحصى

القسم الثالث هو ما يشمل الباس كبرهم ومغبرهم ويشترك بتنافعه غنيهم وفقيرهم وهو على ثلاث مراتب الاولى هي العلوم الابتدائية التي قل ان ينفع لو منها انسان في الامم المتقدمة وهي القراءة والكتابة واصلول الحساب والهندسة والفن والصرف فاما الكتابة فانه مندوب اليها الحديث استمن بيمينك أي بان تكتب ولا يخفى ما بها من الفوائد العظيمة والمنافع العميمة فان الله جل شأنه فضل على عباده بان ألهمهم الكتابة التي بها ضبطت أحكام الدين ودونت أخبار الابرار وأما الصرف فهو لاصلح الانسان ومعرفة تراكيب الجمل الخالية من اللحن وهو أساس لساثر العلوم وأما الحساب والهندسة فهما غنيان عن التعريف اذ نفعهما بين الناس معلوم وهذا التعليم الاولى ضروري لجميع الناس دلي احتمال اق اجناسهم اذ به يحسن حال

الهيئة الاجتماعية ويعم نفعه جميع الرعية سيما أرباب الحرف
والصناعات إذا كان لهم المسام بالكتابة تسهل عليهم - ثم الاختراعات
والتفنن في صناعاتهم بما يطلعون عليه من الكتب المواقفة كل على
حسب مرغوبه وباجتهلته وان احتياج كل الناس لهذه العلوم كاحتياج
الطعام للملح ولا غنى لاحد من العموم عنه

وأما التعاليم الثانوية الذي مرتبته أعلى من مرتبة ما قبله فهو غالباً
لا يلتفت للبراعة فيه أكثر الناس لصعوبة مسلكه فينبغي للحكومة
تشويق الناس اليه وترغيبهم فيه مع احراء الوسائل المسهلة لتحصيله
كانت امداد من مخصص - وصلة منتظمة وحلب معلمين وأساتذة ماهرين
فان هذا التعليم هو السبب الاعظم لتمدين جمهور الامة وتنوير
ابصارها وتقدمها في ميادين المعارف والحضارة وأنواع هذا التعليم
كثيرة فما ينبغي تعلمه منها واشتهال الاهالي بالاهم فالاهم منه علم
الجغرافية التي يتوصل به الانسان لمعرفة ما اشتملت عليه الكرة من
البحار والجبال والاقرى والبلدان والطبائع وعجائب الحيوان ولا اقل
من ان يتوصل به الانسان لمعرفة جغرافية بلاده ووطنه والعلوم
الرياضية بانواعها والتاريخ والمنطق وعلم المواليد الثلاث والطبيعة
والكيمياء والادارة المالية وفنون الزراعة والمحاضرات والانشاء
وبعض الاسنة الاجنبية التي يعود نفعها على الوطن وهذه العلوم
هي التي عليها مدار أكثر المدارس في الامم المتقدمة ولمصر فيها بعض
الاتقان الآن

وأما

وأما مرتبة العلوم العالية فهي اشتغال الانسان بعلم يتجرف به بعد
تخصسه له علوم المبادئ والتجهيزات كعلم الفقه والطب والفلك
والجغرافية من كل علم يجب تعلمه وحوب عين او كفاية وهو أن يحول
صاحبه في أصـوله وفروعه غاية التحول حتى يكون كأنه يهد فيه
فيجب ذلك على افراد في كل قطر يكون لهم استعداد وقابلية للموع
أقصى نهاية المعارف التي هي نظام دين ذلك القطر ودينه ايقوموا به
ذلك ويكونوا كالمجدين فيه

وكما ان التعاليمات الاولى يجب ان تكون عامة لجميع الالهة الى شاء له
عموم الناس ينبغي ان تكون أيضا الثانوية منتشرة بين الامة وانشاء
الالهة الى القسايس لتعلمها واتقانها بخلاف العلوم العالية المعدة
لأرباب السـياسة والحـكومة وابناء الحل والعقد فانه ينبغي جعلها
مقتصرة على تلامذة وأناس مخصوصين عقيدتين بقية وخاصة من
الغنا والاعتبار لا يحصاها الا ذوو اليسار من الناس الذين لا يضر
تفرغهم للعلوم العالية وانقطاعهم اليها اذ من العث ومن الخطر
أيضا تفرغ صاحب صنعة ينتفع منها الناس لطلب هذه العلوم
المبوبة بأرباب السـياسة والاعتبار وتركه صنعة التي يتعيش منها
رفعة في دخول دائرة معالي المعارف التي لا تصلح الالهة فينبغي
للحكومة عدم الترخيص للتلامذة الذين درسوا العلوم الاولى
والثانوية ان ينظموا بهـ لك أرباب المعارف القصوى الامن فيه
اللياقة لها كما لا ينبغي حرمان التلامذة ذوى اللياقة من وطائف

الحكومة الأهلية اذ ليس من العدل ان تلميذا قضى ريعان شبابه في المدارس ومصرف أكثر أيامه بطالب العلم يوم رغبة الا - استخدام في الوظائف المحلية وان يشترك بما انتفع به عموم الرعية ان يقطع أهله منها ويحرم مما كان كتبه من العلوم بإيمانه عن أسباب الترقى بالخدمات الملكية حتى يستولي عليه - العلم - فوينتفع شأنه بين الأقران ورعا اهلا - كما يستولي اليأس على غيره من التلامذة الذين لهم ميل لما تقدم ويريدون ما حل برغبةهم فتبردهم ثم وتغل عزيمتهم في شأحيث اذالاهمال وعدم رعية التلاميذ اقنوطهم من احتناء ثمرات منافعهم ثم انه من استكمل التلميذ العلم يوم الابتدائية والتجهيزية وطهره له لخصوصيات تناسب حاله من الصناعة والاعنون وغير ذلك مما يتحصل به على نتيجة حسنة وجب على أهله تمكينه منها واعانة - على مرغوبه الا اذا كان ماثلانحو مطامعه الشهوانية فينبغي لهم زجره عنها ومما استطاعوا ارشاده للوسائل المؤدية لإعادة والترقى

هذا وليس من اللازم ان جميع المدارس المعدة لتعليم هذه العلوم ان تكون على نفقة الحكومة بل ان المدارس التي تكون على نفقة الحكومة ومن حصائصها هي المدارس الحربية والمالية والمحكمة تكون واسطة لتقوية جميعات المعارف الخيرية في البلاد وقد اليهم يد المساعدة مع ملاحظتهم فيما لا بد منه في بعض الاحيان وعلى حسب استعداد الاهالي للاعمال الخيرية وميلهم للاعنون والمعارف

والمعارف يجب عليهم ان يذلو الخوض بانشاء المدارس ونشر المعارف
والعلوم كما ينبغي التدقيق بانتخاب المعلمين الماهرين بالعلوم
المؤسسة عليها المدرسة المراد انشاءها وان يكون اولئك المعلمون
متخصصين على شهادات تثبت معلوماتهم التامة بهلاك المعلمون التي
تضمن حسن مستقبل التلامذة الراغبين في التعليم فان وظيفة المعلمين
وظيفة مهمة تستدعي دقة النظر ثم يجب اختصاص كل عشرة أو
عشرين تلميذا بمعلم واحد يقوم بتعليمهم فان ذلك أيسر للتعليم وأقرب
لتهذيب التلامذة وتأديبهم بخلاف ما اذا كان كل مائة أو مائتين
يتلقون العلوم عن معلم واحد أو اثنين فانها لا تمكن منهم التربية
كما ينبغي بل اذا كان كل عشرة تلاميذ بمثل ما يقوم بتعليمهم واحد
يستغلوا بحسبانه أوفق وعند تمام الدرس يحضر بهم الى محل
التدريس العام الذي يجتمع فيه سائر التلامذة لتلقى دروسهم
وبقي للتلاميذ الاذعان لأوامر معلمهم وعدم مخالفتهم والنظر
اليهم بعين التقدير والاحترام كما يجب ان يكون المعلم ابن العربية
يمزج الشدة باللين مذهب الاخلاق حسن الحصال متحلي بحلي
الكمال ليقتبس منه التلميذ الصواب بالحيدة اذ رجاء به تميز الغلام
من الاستاذ مالا يستفيد من أيه من الحصال لان المعلم هو القائم
بتربيته وتأديبه وتعليمه وتهذيبه

ومن الاسباب المشقة للتلاميذ رياضتهم في بعض الاوقات باعطائهم
الفرص المناسبة للسفر القريب بالسكك الحديدية أو سواها

وتنزههم في بعض الاحيان انصفوا اذهانهم وترتاح قواهم العقلية
عقوب تعب الاعمال الفكرية والنصر يحلهم غيب الدروس بالالعب
المخيفة كالبجلاسة التي تكون اذواتهم امددهم في فسخات
المدارس وعند خروجهم في اوقات العرص من محال التدريس
تكون لهم على سبيل الرياضة والتمرين ويستفيدون منها الرشاقة
والنشاط والخفة بالحركات البدنية فان مدارس أوربا وعموما قل ان
يخبروا منها هذا الفن وبالجمل فان الامة التي تقبل على هذه العلوم
والاداب المقدم ذكرها يتنظم حالها ويعلومنا شأنها وتنبث
فيها روح الحضارة والتقدم واكتساب المعارف الجسدية لتتقدم
البلاد وحسن حال العباد

الجملة من هي الاعمال الرياضية

﴿ الفصل الثاني في البحث على طاب المعارف والتمتع بظواهر الوارف ﴾
اعلم ان الله سبحانه وتعالى قد جعل في كل زمان انسانا ذوى دراية
وذكاء يقومون بواجبات الواطن بحمد دين ما قد درس من معالم الفضل
والعلوم باداس جميع ما في وسعهم لمسابه كسب حقائق حوادث
المعارف البشرية فيشاركون الناس بما احتنته عقولهم من رياض
الحكم والعضائل ويخادون بين الناس آثارا لاتزال تذكرهم بالثناء
العاطر بما يتركونه من التاكيف العظيمة والاحتراعات النافعة
العميمة التي يقوم بها اود البلاد وتزيد مصلحة العباد كيف لا والبلاد
التي تقبل أهائها على مطالعة العلوم واجتهاد غرات المعارف والفنون
يكون لها في أوج السعادة المقام الاسمى وتعال أهائها في ميادين

القديم

التقدم والثروة والنسابة القسوى فتتبعه بالعجز والعنى على مدا الزمان
ويشار اليها حينئذ بالبلدان وأما البلاد التي يكون أهلها في حضيض
الجهل منهم سكان بالكل الذي يفهم بالإنسان إلى التأخر
والاضمحلال فانها تصعب بعدد عن الثروة والتقدم ثم هو من
أسباب تفرقها وعللها لا يكاد يكون لها أثر بحمد ولاد كرى بخلاف
بمخلاف ما اذا كانت الامة متحدة على نشر العلم ولوم والمعارف متفقة
على اعلاء كلمتها وتوفير ثروتها كي لا تتأخر بين الامم ولا يفوتها كل ما به
السعادتان الدنيوية والاخرية فتلك هي التي تحل سطور التواريخ
بجمل ذكرها وتقلد حيد الزمان بدرر فروعها كما هو مشاهد الآن
وفي كل زمان كيف ان البلاد التي تتسع دائرة معارفها وتبلغ غاية
الحضارة والتقدم تنمض جميع ما تدره البلاد المقصرة في المعارف
القليلة الامام بالاعنون والاصناف وهالك شاهد الا يقبل النقيض وهو
ان البلاد المصيرية ممتلئة بالمازالت ولم تنزل دار العلم لوم منطوقها
والفهوم لكثر اقلية المصناعات والفنون لا يكاد تنظر لمحصولاتها
القطنية وجعلتها كل سنة تبلغ زعماء ثلاثة ملايين قنطارا تقريبا
وهذه الاقطان جميعها لا يستفيدون منها سوى اثنان اعيانها وأما
التطويرات العمالية المورثة للثروة العظيمة فانها تكون لاهل أوروبا
فهم اذ في غنى عظيم بالسيرة لاوروبا اذ ان هذه الالة ملايين
قنطارا من القطر يبلغ ثمنها ستة الى تسعة ملايين جنيهها (ايره) فلما
تأخذ منه أوروبا وترسله بعد تطويراته العملية ربعا يبلغ العشرين

أوالثلاثين ما يوتا جتبهما مثلا فانظر أيهما الرابع وأيها المغبون فان
قلت ألا تعلم انهم لا يتحصلون على هذا الثمن الا بعد تكبد اضعاف
ثمن الاقطان من المصاريف العظيمة والتكاليف الجسيمة كاجر
الصناع والحياكيز والصباغين والنساجين والشيالين (الخ) أقول
وهذه هي الارباح المراد بها للبلاد النافعة للوطنيين ولو كان
المصريون مولعين بحب المعارف التامة محتمدين في تحصيل العلوم
والصنائع لما احتاج الامر الى تكبد الاضرار بل كانت معاملهم
الصناعية تغنيهم عن البضاعة الاورباوية مع اغتنامهم ثمار ثروتها
وهكذا حال سائر البلاد المتقدمة في الصنائع التي مهور أهلها
بالاختراعات والفنون التي لا تنقطع اذ لا يجراولة كثرتها ومطالعة
وتحصيل العلوم التي دونها ذروا العقول من العلماء الذين صرفوا
معظم حياتهم بنفع وطنهم وأمتهم وتجميع قوائم علومهم لا بالانهمالك
على الكذب الخرافية والمصص الملفة الكاذبة التي لا تفيد
صاحبها الا خول الذهب والبطالة كما هو مجرب

ثم ينبغي لمحصل الفنون الصناعية والعلمية ان ينفع الناس بعلومه
ومعارفه فان العالم من ينفع بعلمه ايس العالم الذي ينفع نفسه
وزاوية بيته والى وه البختان ديارنا السورية والديار المصرية
ايضا فيهما من العلماء بكافة العلوم اناس كتب يرون الا انهم قليلو
العمل فانا ما رأينا أحدا منهم اخترع آلة بدعية أو عملا جديدا
أو أي شيء من الاختراعات نافع لابناء الاوطان ومغن لهم عن
الاحتياج

الاحتياج للأعمال الأوروبية بما يكون هذا ناشئاً عن اهمال
الحكومة لدوى المعارف والعنون مع ان من واجبات الحكومة
الالتفات لأوامر القوم ومد يد المساعدة اليهم وحث الامة على طلب
العلوم والمعارف بأوساقل المحسنة وكرام أرباب الاختراع والتأليف
المفيدة والنظر اليهم بعين القبول ومساعدتهم وانهاضهم بما
تقتضيه الحال كما هو واقع الآن في معارض أوربا التي تناقش فيها
عند التأليف أرباب العنون والمصناعات من جميع الافطار وتعرض
فيها اختراعاتهم العظيمة النافعة لدى وزراء ووفراء الممالك مع
جماهير عديدة من الناس ايما وابذل من يد الشهرة ولا فتخار وربما
تحصل البعض على وسامات (نياشين) الافتخار والبعض من يكون
اختراعاتهم فطما ومفيدا للعامة يجعلون له رسما محمدا في ذلك
المكان لنفي شهرته وشهرة اختراعه مد المصنعين والايام وهكذا
يكافئون كالأعلى قدر على له بعد ما تعان بامه ونوع مخترعه جميع
الجرائد لتروح بصاعته وتظم شهرته فتزيد بذلك رغبة الناس
بالمعارف وتيسر انفسهم لطلب الفخرو يوطد امل الانسان باجتناء
ثمرات تعب وكسبه الشهرة العظيمة والصيت الحسن
حتى ينتبه نحن ايضا من رقدتبا ونماد رسا به تقدمنا وثروة بلادنا
فان من الواجب على كل وطني لاسيما في مثل هذه الازمان الجديدة
ان يبذل جهده لكل ما به نفع الامة والاطال واطاع دائرة العلوم
والعرفان ليحصل الوطن على اسباب التقدم والرفعة ويحسن حال

الهيئة الاجتماعية بتمتعها بالخبرات الوطنية
ولما كانت عمارة الممالك والممالك تحتاج لانساع دائرة الفنون
والصنائع وادواتها وآلاتها يسر الله في كل زمان اناس ذوي دراية
وبراعة تامة يقومون بحسابه احياء العلوم والعنون كما ذكرنا ولم يعدم
وطننا من هؤلاء الرجال اناسا قادرين على القيام بجهام الخدمة الوطنية
الواحدة على سائر افراد الامة غير ان اسبقها من همهم متوقف على
حس الحكومة ومساعدتها وترغيب الناس بالمعارف لتتقدم بذلك
الاوطان وينال اهلهما كمال التمدن والعمران

﴿ الباب الثالث في واجبات الاوطان والحرية والعدل ﴾

﴿ الذين هم اسباب العمران وفيه أربعة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول في الكلام على الوطن ﴾

﴿ وما في الترحل عنه أو السكن ﴾

قد تقدم معنا في الباب الاول ان الانسان قد خلق مفعولاً على الالفة
التأنيدية التي تنشأ عنها الاجتماعات البشرية ولما كان لابد
لكل هيئة اجتماعية من مكان يجمعها ويضم شعابها يسمى ذلك
المكان بالوطن أي مسقط رأس الانسان وبلده الذي ربي فيه وانتمى
اليه وهو على ثلاثة أقسام باعتبار النسبة الى خصوص البلاد أو القطر
شخصياً كان أو نوعياً فيقال فلان دمشقي نسبة الى بلاده دمشق الذي
تأصل فيه ويقال سوري نسبة الى سورية (بلاد الشام) مجمع الامة
السورية

الصور به ويقال أهلى نسبة الى اهل ارضه لكونه من أهالى
الوطن وقد اقتضت الطبيعة البشرية ان كل وطنى بعدد عن وطنه
لا يزال يتشوق اليه ويحن لزواياه ولوثال فى غيرة ما نال من مهادة
أو نعيم وتعرف والحمل لا يؤثر على باده بلدا ولا يصبر عنه أبدا وفى
الحديث حب الوطن من الإيمان وقال بعضهم من علامة الرشد ان
تكون النفس الى بلدها تواقه والى مـ فقط رأسها مشتاقه وقيل
ميلك الى مولدك من كرم محبتك لكن قد يضطر الانسان أحيانا
لفسارقة وطنه ومبارسة عظمه اما الضيق المعيشة ووقوف حال
الاستـباب واما الظلم يناله من قبل الحكام ويضطره لارتداد محل
يتتصف فيه ويأمن على ماله ونفسه وينال حرية عمله وأمر الحق
ان البلاد التى تكون هكذا غير مأمونة السكنى بها ولا الإقامة فيها
من الاضطهادان وعدم أمان الرعية على حالهم ومالهم وضيق أسباب
التجارة والاشغال قد يطيّب للراء أحيانا مفارقة لها وان تكن وطنه
العزيم ومـ فقط رأسه الذى تربى فيه وتغذى بمائه وهوائه لان
الانسان ميل بالاطماع لمحـ الراحة وارتداد الرزق والتوسع ما أمكنه
بالمعيشة أية اللذل والاضطهاد

ومع ذلك فالتنقل فى طلب العلم وارتداد الرزق أو العزو والشرف حيث
وجد محمود عند أغاب الناس والبعض يبحث على التجول والتنمل كما
فى قول المرحوم والدى من قصيدة طويلة
وان وجدت بدار ذلة عظمت عليك فاصبر لها أو شئت فارتحل

ان تقترا السـير عنها فتلقى بدلا * وان اقامت فمناك الذل لم يزل
اما ترى الماء ان يجري يطيب وان * طال المدكوث به أدى الى الخلال
والاسـد عن غابها لو مات سير لما * نالت فريستها بالسهل والجبل
وقال بعضهم

ان الملا حدثتني وهي صادقة * فيما تحدثت ان المز بالثقل
لو كان في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوم اذرة النحل
وما قيل في الإقامة وانتقل قل ان يحصى وكل فريق يرج رايه على
الاخر وكيف ما كان فلا وطن حقوق لابد من مراعاتها وحقوق
الوطن على الانسان كحقوق الولدين فكما ان الوالد يعتنى بتربية
ولده وتم ذبيه فانه ايضا اى الولد ينشأ في وطنه منتميا بخصه يرانه
منه شامواؤه وتحت يده وروائه ويجب عليه والحالة هذه مراعاة
الحقوق الوطنية كما ينبغي في الفصل الاتى ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الثانى فى الحقوق الوطنية ﴾

كما ان الوطن هو الذى يجمع الامة تحت راية واحدة واحكام واحدة
واسـترعاء ذلك واحد ينبغى لها ايضا ان تكون متحدة على كلمة
واحدة منقادا لسياسة واحدة حائزة كمال العفة والشجاعة والفضل
وصيانة العرض من تهمة مقاومة أعداء الاوطان وصمد هجمات
المنغلبين كي تكون حرة بواطنها متمتعة بحقوقها المدنية ويكون كل
فرد من افرادها آمنا على نفسه مالا كاحرية وطنه لا يخشى هزيمة
فى ذاته ولا يوصل الاديبة لغيره حتى يستحق حبه فاذ ان يرد فردا من

أفراد

افراد المدينة التي هي بمنزلة بيت يضم عائلة واحدة بعضهم بالذمية
لبعض كاعضاء الجسم الذي يحتاج كل عضو ومنه بحركته الى العضو
الآخر

كما ينبغي ايضا ان اهل الوطن يكونون مقبلين على طالب العلوم
والمعارف عاقلين الخناصر على جانب كل ما يعود نفعه على الاوطان
وما قبل للغنون والصنائع التي هي سبب تقدم البلاد وثروتها
لا يسميهم الكسل ولا الميل نحو حب الشهوات الحسية التي
تغشى بالانسان الى حضيض اللذات والموارد بل دائماً يكونون
مهتمين بصالح بلادهم باجراء الوسائل الآتية لنجاحهم وتقدم
وطنهم كانشاء المدارس العلمية والصناعية وتعميم الشركات التجارية
ومد السكك الحديدية الى غير ذلك مما يتوقف عليه المصالح
المتجارية والسعادة الوطنية فننظر الى اوروبا من منذ عدة اجيال
والى حالتها التي كانت عليها عندما كانت تحبط في ظلام الجهل تحبط
عشوائاً وتعرض فيها الاكسوف فيما آلت اليه حالها من التفتت في
المعارف والعنى ظهر له كيف تأثر المصالح الانسانية في الرجال وكيف
تبلغ بالامة الى معارج الفصول والكمال وتجعلها منفردة عن بقية الامة
بالغنون والمعارف واكتساب الشهرة والصيت وهكذا شأن الرجال
من أبناء الاوطان الذين يبذلون ما لهم وأرواحهم حياة فائدة وطنهم
وسعادة أنفسهم ويقومون بنحوق المصلحة الوطنية التي ينظمها
حال الهيئة الاجتماعية على ان من اعظم الاسباب التي جعلت أوروبا

تتقدم بالثروة والغنى على الأمم تعاضدا للناس على الشركات التجارية
الوطنية وتعاونهم على المشروعات المهمة القافعة أدمن المستحيل أن
واحد إذا يسار أو اثنين ولو معهما كانوا غنيين أن يستطيعوا إنشاء شركة
عديدة أو بة. كما (محالا لقرض) أو معمالا للتشغيل ونحو ذلك من
المنافع العجيبة ما لم يتعاضدوا على ذلك المشروع عدة الناس يكونون
مشاركين يدفع ما يحتاج اليه المحال من النفود كل منهم على حسب
استعداده وعناؤه ليحصل حصة من ذلك. فيل الاشغال وينال الجميع
جزيل الفائدة والارباح

ويستنتج من ذلك ما لقوة الاجتماع من القدرة على الاعمال العادية
وان كل وطن يتقدم له على طاب المنفعة والتقدم تراهم - اندين
على من عداهم كبرى الثروة متمتعين بالخيرات الوطنية حائزين
تمام الحرية والامنية بخلاف الامم التي تكون متعددة الافكار
والاراء متفرقة الجماعات والاحزاب فانها لا تزال في تشاحن
وتحاسد وربما تحلب سوء العاقبة الى الاوطان وهي محرومة من
اسباب التقدم غير مستحوذة على الحرية الوطنية بعيدة عن نوال
الحقوق العمومية لذلك ينبغي لانباء الاوطان ملازمة اسباب
معادتهم وتقدمهم واتحادهم على دفع كل ما من شأنه ان يضر
بالاوطان ويحط بقدر الامم ويجعلها تناحر في ميادين الفضل
والعرفان وذلك باستحضار جميع ما يلزم لاهل العمران من الادوات
اللازمة لتحسين الاحوال الحسية والمعنوية والاستعداد بوسائل

المهمات

المهمات الحربية بربية كانت أو بحرية مع السابغاجي الاوطان من
هجمات الاعداء وصمد المطامع المتغابين كما يلزم قبحر يد افراد الجمعية
من امتياد اتهم المعنوية لدى عناية الاخطار المترمة ان تلم بالاوطان اذ
عندها يتسارى بالمصلحة ابناء الوطن كبيرهم والصغير وحقيرهم
والامير فلا ينبغي لهم حينئذ النظر الى امتيازاتهم المعنوية والاهمال
بالمصلحة الوطنية بل يكونون متحدين على كلمة واحدة وقمت راية
واحدة ويكون كل فرد من افرادها منزه النفس صادق الوطنية
لا يستعمله حب الشهوات لمسا به ضرر بلاده وسوء معاده وينبغي
للحكومة استئصال ذوى الاعراض والغايات الدين يظهر منهم أدنى
زال من شأنه ان يحل براحة الاوطان كما ينبغي لها ايضا مساعدة
الرعية والتحفيز على حقوقها المدنية ومنعها كمال الحرية المؤسسة
على العدل وحسن السياسة

﴿ الفصل الثالث في الحرية العمومية ﴾

قسم بعضهم الحرية الى معنيين الاول منها هو الحرية الشخصية وهي
اطلاق تصرف الانسان في ذاته وكسبه مع أمنه على نفسه وعرضه
وماله ومساواته لا يتأثر عنه لدى الحكم بحيث ان الانسان لا يخشى
هزيمة في ذاته ولا في سائر حقوقه ولا يحكم عليه بشئ لا تقتضيه
قوانين البلاد المتقررة لدى المجالس والمعنى الثاني الحرية السياسية
وهي تطلب الرعايا التدخل في السياسات الملكية والمباحثة في
ما هو الاصلح للمملكة بواسطة نواب الامة

وقسمها بعضهم الى خمسة اقسام القسم الاول الحرية الطبيعية وهي ما خلقت مع الانسان وحبل عليها كالاكل والشرب والمشي مثلا مما لا طاقة للقوة البشرية على دفعه ولا غنى لساكن الانسان عنه مما يكون سبباً لآلامه واشغله ذاء لحسمة وما يكون به قوام حياته لا ما يضره كالتخم والاقدام على شرب المسيمات فان الانسان قادر على دفع ذلك بدون ان يعد دافعه ظالماً

الثاني الحرية السلوكية وهي حسن سلوك الانسان واتباعه سبل العادلة ومكارم الاخلاق اللازمة على كل فرد من افراد الجمعية لا كما يتوهمه البعض من انه اذا اتى شيئا أو امراميه أو سئل عن ذلك أجاب اني حرولي ان افعل ما شئت بحريتي فلهذا الحق انه لرفيق هو نفس نفسه والحر من يتقى بمحاسن افعاله ومكارم اخلاقه سهام المدة والامام ليكون أميناً على نفسه مشهوراً بحسن معاملاته لغيره

الثالث هي الحرية الدينية وهي اتباع الانسان آتينا اياها من المذاهب الاربعة والعقائد الدينية بشرط ان لا يكون خارجاً عن اصول الشريعة

الرابع الحرية السياسية وهي حرية ارباب الادارات الملكية بوضعهم قوانين على مقتضى مذاهب بلادهم وأجراء ما تحسن به الرابطة الاجتماعية اذان ملوك ووزراء الممالك منهم باجراء الروابط السياسية والاحكام القانونية المؤسسة على العدل وحسن السياسة

المقدمة

الخامس الحرية المدنية وهي عبارة عن اتحاد وتواطى جميع المصلحة الاجتماعية كاهالى ملكة واحدة على ضمانه حقوق بعضهم لبعض وارتباطهم بقوانين مدنية واحكام لا يتعداها احد منهم بشرط ان كل فرد من افراد الامة يكون مطلق التصرف فى ذاته وأشماله التجارية ممرحاله بالاقامة أو لا. واهل بدون اكرام مكره أو اجبار مجبراً على نعمه. وماله مباح له التصرف فيما يملكه بحريته جميع التصرفات الشرعية ماله كاله بغير قيد وحجج مريية فهذا تكون الحكومة مريية كل فرد من افراد الامة ضامنة حفظ حقوقه المدنية مادام بالكامع اخوانه سبيل الخير متمتعاً بحقوق وطنه على وجه يضمن له التمتع به وحسن المقام

وعلى هذا فان الحرية المؤسسة على العدل وحسن السياسة تكون
كافلة لجميع مصالح الامة مسيية سعادة المملكة والبلاد داعية
نحب الوطن جامعة للارعية على التعاون والتعااض لما به خير أوطانهم
وأنفهم لذلك لا ينبغي التصديق على أحد أفراد الجمعية ومعه من
التمتع بحقوقه الوطنية وتوقيعه عما يجوز له به بوجه قانوني
فان كل عضو ومن أعضاء الامة مباح له الاتيان بما يجوز له شرعا غير
مكاف بما لا يتجبه له القوانين المحلية والاحكام الشرعية وبالمجته فعلى
الحاكم اجراء تمام العدالة والانصاف ومزج اللين بسوع من الشدة
ليكون آمنا على المملكة من محال للارعية بعيدا عن نفرتهم جالبا لسعادة

البلاد كما ينبغي أيضا لكل فرد من أفراد الأمة طاعة حاكمه وإكرامه
وعدم خروجه عن دائرة قوانين بلاده مع إجراء جميع الوسائل الراجعة
بالنفع على وطنه فان الانسان مكلف بكل ما من شأنه ان يدفع
الضرر عن الاوطان ويحلب الخير والعائدة لها فاذا كاف الحاكم
الاهالي على دفع العدو عن البلاد ومقاومة كل من يريد اسـتـلاب
حريتها لا يعد هذا من الحاكم تكليفا فالوطني مجبور على الحماية
عن حقوقه الوطنية لما يجب عليه الانسان من الانعمة والعزة واباء
الحقارة ولذل

ثم ان من أعظم منافع الحرية حرية الاعمال الاربعة التجارة
والصناعة والفلاحة والاعمال الفكرية والمدنية التابعة للحرية
الشخصية لانها السبب الاكبر في تقدم البلاد وبعادتها وبها
تكون تربية الهمم الانسانية فقد ثبت ان كل مملكة حازت تمام
هذه الحرية أصبحت ثروتها عظيمة ومنافعها عجيبة فالترخيص
بها يحل المنافع العمومية و يكسب البلاد رونق المحد والترقى
الى الدرجات العلية فـ كل عاقل عارف بمنافع هذه الحرية يرى
ان أصعب ما يكون تضيق نفاقها وعدم اكثراث الحكومة
بها وقد يكون في بعض الممالك التضيق بها وربما كان ذلك
لـ كون الحاكم يرى عدم أهلية الرعية لها منتظرا ذلك تمكن
التربية منهم واستكمالها فيهم واحـ لـاحـ حالـهم لا يبيح لهم التصرف
بالعمليات الواسعة ويرخص لهم باتساع الدوائر الزراعية
والصناعية

والصناعية ويبين لهم أسباب التمدن والتقدم لتنبه بأبصارهم
وترشد عقولهم

وينبغي ان تكون تلك الحرية مؤسسة على العدل وحسن نظام
الامة ليكون الله ترفاً آمناً على نفسه وماله من اغتصاب نتائج
اتعابه وتعطيله عن أسباب معيشته لا غراض عدوانية فلا ينفع
الناس ان تكون أرضهم خصبة بانه الثمار اذا كانوا لا يتحققون
الحصول على ثمرات اتعابهم ونتائج أرضهم خوفاً من هضمهم حقوق
تعبهم ومن الذي يقدم حينئذ على زراعتها مع ضعف أمله اما لما ذكرنا
واما انه جذب أرواقها من بلد الى آخر لما يطرأ عليهم من الفساد
في الطريق أو انه يكون أحرقت أو ضعفت ثمراتها كما هو واقع الآن في دارنا
السورية فانك اذا أخذت مداً (هو كيل مشهور) من القمح مثلاً من
حوران هي بلاد خصبة في جنوب دمشق فعظم ثمره يكون أحياناً سبعة
غروش وإذا أردت إرساله من حوران لاى جهة كانت تدفع أجرة مثاله
ونقله كما دفعت في ثمره أولاً أكثر لذلك من أهم ما حنته الدول الأوروبية
من كمال الحرية تسهيل المعاملات التجارية بما اخترعوه من السكك
الحديدية وتعضد الشركات الاهلية والاقبال على تعلم جميع الفنون
العلمية والصناعية وبالجملة فان الحرية نافعة في كل الوحوش بها يحصل
تمام القدرة على الادارة التجارية واذا فقد الناس الحرية والامن
يضطرون بالطبع الى اخلاء مجتمعات بلادهم فتنه ذرا الحركة التي
ينشأ عنها تعطيل الاشغال ويستولى على الاهالى الوهن والفقر ما لم

عن الرعية حريتها بالاشغال وتساعد بها الحكومة على أسباب
التسهيل وانتشار المعارف وتقوية الشركات ادلايخ في مابة قوة
الاجتماع من القدرة على الاعمال العسادية هذا وقد بقي علينا
ان نذكر الحرية المطابع من الفوائد الجلية والاهمية العظيمة
فانها هي التي بسرت انتشار العلوم في الاقطار وجاءت للعالم بفوائد
لا تحصى وه منافع لا تسعنى سيما حرية الجرائد (صحف الاخبار)
ذات الفوائد النجدة فانها من أعظم الامم باب المهدية للعقول والمنورة
للابصار ان يكون بشرط ان تكون مقيدة بقوانين لا تتعداها
وخطط لا تتخطاها لان اعطاء الجرائد الحرية المطلقة قد يخل
أحيانا بالراحة العمومية كما تنشره من المقالات على مقتضى
الاغراض الشخصية التي تستدعى دقة النظر وتجميع أفكار العامة
فلذلك ينبغي ان تكون حريةهم متوسطة لا تفريط ولا افراط حتى
تتم بالعائدة مع تحاشي الصرر كنه ما يراه البعض ممن لا يتوصلون
الى الادارات الملكية من الاكراء المستحسنة السياسية ودرج المقالات
الادبية والنصائح والوقائع اليومية والمدافعة عن الحقوق الجنسية
والوطنية والحوادث التاريخية التي تمور بأبصار الناس ويستنتج
منها معرفة الاخبار اليومية ولا اقل من ان يتحصل منها الانسان على
ما يهجه من معرفة حوادث بلاده ووطنه هذا فصل العمل الهام من
العائدة بالاشغال التجارية اذ يمكنك صف البضاعة باثراء عدد
أحد التجار جملة أيام وشهور فيعلم بواسطة الجرائد عن محل وجوده

ونوع بضاعته وحسن أقمشته فيشهر محله في جميع الجهات وتروج
بذلك الوسطة بضاعته ويحسن حاله وهكذا جميع التجار على اختلاف
أشغالهم كما هو جار عند الأفرنج الآن فتراهم يزبنون أعمدة الجرائد
بالنقوش والرسومات المزخرفة مبينين بذلك أشكال بضاعتهم
مرغبين الناس بحسن أقمشتهم فتروج تجارتهم وتنتهي إلا ما كن
البعيدة شهرتهم وما ذاك إلا بواسطة الجرائد كما تقدم ومنافعها من
هذا القبيل لا تنكر وإذا أردنا الحصاد ما يجمع منها من العوائد بطول
الشرح أمكن لسوء البحوث أن ديارنا السورية محرومة من هذا
الامتياز العظيم فانها مع احتياجهافي مثل هذه الأزمات الجديدة
إلى الجرائد الوطنية فهي بالنسبة لغيرها قليلة جدا لا تكاد تزيد
عن خمس أوست جرائد منها واحدة وهي الرسمية تطبع في دمشق
والباقي في بيروت وهي في الحقيقة عديمة الجدوى لانه فضلا عن
كون صدورها أسبوعية فهم لا يقدر على نشر المقالات السياسية
الاماندر حتى ولا المحوادث المهمة الوطنية والوقائع اليومية التي
يستفيد منها الإنسان تنوير بصيرته ووقوفه على حوادث وطنه
وأخبار بلاده وما ذاك إلا لثقل اليد الحكومية على أرباب الجرائد
تشديدا يعير محله مع ان من الواجب على الحكومة اجراء جميع
الوسائل المؤدية لترقي الأهالي وتقديم البلاد لتترك معهم بالثروة
والعنى ونمحتهم حرية وطنهم وتجمع لى للجرائد نظاما متوسطا
لا يتعدونه كما انه ينبغي للجرائد الوطنية سلك سبيل الاعتدال

وعدم الخروج عن دائرة الآداب الانسانية وتعماني الفساح
والمقالات التي تسود وجوه الصحف بظلمات الاغراض الشخصية
الامامية فائسة العموم وداعية التعاضد والائتلاف فان الحرائد هي
الواسطة التي تذيب افكار الامة وارشادهم للصالح الوطنية ليس
لفساد افكارهم وضرر وطنهم انتهى

هذا ولما كان موضوعة هذا الكتاب هو بيان اسباب التمدن
والعمران فقد احييت ان اجعل خاتمة هذه الفصول فصلا مختصرا
في العدل الذي هو السبب الاول لتقدم البلاد وتقدم العباد وان
كنت قد بينت ذلك في فصل الحرية المتقدم غير مرة لكن زيادة
للعائدة وبيان المقصود

﴿ الفصل الرابع في ذكر العدل وانه سبب العمران ﴾

العدل عبارة عن الاستقامة على طريق الحق وان ينتصف الانسان
لنفسه ولغيره وقد جعله بعض الحكماء قاعدة لجميع الفضائل كالكرم
والمرورة والهمة والشجاعة وحب الوطن وصفاء القلب ونحو ذلك
من الفضائل التي هي من نتائج العدل والعدل اساس الملك وسبب
العمران ووسيلة لتقدم الاوطان فان الحاكم العادل اذا كان
مشهورا بالعدل وحسن السياسة يستميل اليه قلوب رعاياه
وتطمئن به البلاد من الحور والاستعداد فيصبح الناس متحدين على
كلية واحدة آمنين في اوطانهم خاضعين لاوامر حاكمهم غير منفربين
من سياسته بل هم في راحة وسكون من تعدي الايدي والظلام فتنشأ

عندهم

عندهم الامنية التي يتسبب عنها عمران المسالك والممالك وتقدم
التجارات وحسن الاحوال بخلاف ما اذا كان الحماكم جائرا على
رعيته لا يحسن سياسته فملكته فتختلف عليه الاراء وتنفر منه الناس
كما وتمتد أيدي عماله للظلم والتعدي على الحقوق الانسانية
اذ لا رادع يردعهم عن الظلم وحب الافراض انفسانية فيترتب على
ذلك خراب البلاد وتنفر العباد ويختل نظام الملك وتقع الناس في أشد
الضنك وأما اذا كان الملك عادلا في رعيته سالكا سبيل الشرع في
سياسته لا يسلم زمام الاحكام الا لذوى الكفاية والدراية المنزهين
عن الغش وحب الافراض الدائبة الذين ينظرون لمصلحة البلادهم
يعين الصداقة والحكمة والتدبير امن على البلاد من الخراب
والدولة من الانقلاب

قيل انه لما دخل الهرمران على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
وجده مستلقيا على قفاه بالمسجد وسد الحصى ودرته بين يديه فقال
له عدلت فامنت فميت وكتب الى عمر بن العزيز عامله بمحاصرة
مدينة حصن قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح فكتب اليه عمر بن
عبد العزيز حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم والسلام وقيل من جملة
عدل الاسرة ان كسرى اظهر يوما من أيام عمار كتمه انه مريض وانفذ
ثقاته وامناؤه اطوفوا اقطار مملكته واكتاف ولايته وان يطالبوا له
لبنة عتيقة من خربة ليتداوى بها وكرأن الاطباء وصفوه انه فوضوا
وطافوا جميع مملكته وعادوا فقالوا ما رأينا في جميع الممالك

مكافأ خيرا كي ياخذ منه ائمة عتيقة فقال لهم الملك انما أردت ان أختبر
 اياي لا علم هل بقي في الاملاكة موضع خراب لا عمره فالان لم يبق
 مكان الا عمر وقد تمت امور الاملاكة وانتظمت الاحوال ووصات
 العمارة الى درحات الكمال فانظر الى هذا العدل الذي لم يدع
 في البلاد نوبة يؤتى منها لالائمة عتيقة فهذا هو العمران ومن
 عدل نور الدين الشهيد ما قاله ابن الاثير انه بلغ عدل نور الدين الشهيد
 وهو اول من بنى دار العدل وسببه انه لما أقام في دمشق بامرائه وفيهم
 أسد الدين شيركوه تعدى كل منهم على من جاوره فكثر الشكاوى
 الى القاضي كمال الدين الشهرزوري فانصف بعضهم من بعض ولم
 يقدر على الانصاف من شركوه لانه كان أكثر الامراء فباع ذلك نور
 الدين الشهيد فامر ببناء دار العدل فلما سمع شيركوه قال لنوابه
 ما بى نور الدين هذه الدار الا بسبى والافن يمتنع عن القاضي كمال
 الدين والله لان أحضرت الى دار العدل بسبب أحد منكم لاصابته
 فامضوا الى كل من بينكم وبينه معاملة وأرضوه ولواي على جميع
 ما يبدى قال وظلم رجل بعد موت نور الدين الشهيد وشق ثوبه
 واستغاث يا نور الدين فاقبل خبره بالسلطان صلاح الدين بن يوسف
 ابن أيوب فارال طلامته فبكى الرجل أشد من الاول فسئل عن ذلك
 فقال أبكى على سلطان عدل فينا بعد موته ويحق لعمر الحق
 لسلطان عادل ان تبكى لعقده العباد فان العدل حياة الامة وسبب
 عمران البلاد انتهى

هذا ما أحبت إرادته في هذا الباب وفيه لاولى البصيرة كفايه وقد
جعلت الحاشية في ذكره متعلقة بالتمدين الاسلامي والتمدين
الاروباى على حسب الامكان لكي تتم الفائدة المطلوبة والغاية
المرغوبة

﴿ ذكر نفع متعلق بالتمدين الاسلامي ﴾

من تأمل في سريان قوة الامة الاسلامية في مبدء ظهور الاسلام
وامتداد عنصرها في الاقطار وتقدم سلطتها وانتشار شريعته في
غالب الامصار في مدة لا تزيد عن الثلاثين الى الثمانين سنة عن يد
طائفة من العرب قليلة قد ابدت دعوة بيماعليه الصلاة والسلام حين
دعاهما للحق فانتضت امامه من غمده الحزم والعزم والايمان سيفا
ما قوى على ان يحمله احد بل كافة اعم العالم انعمتهم الخيرة والانذال
وتحقق لديه ما لتلك الشريعة من الاسرار الالهية والسياسية الشرعية
التي جعلت العالم ينقاد لامر بعث الله به نبيه بالحق للناس
الا وهو الاقرب اربوح دانية الله تعالى واتباع سنن القوانين
الالهية المبينة على العدل فادى عليه الصلاة والسلام رسالة تربية
للناس وبحث في الوجود انوار العدل والقوا الهداء ثم قام بعد نبيهم
لاتمام تلك الدعوة الخلقاء الراشدون وسلكوا من السبل ما به قوام
وانتشار هذا الدين واحسنوا السياسة مع الحاق ونهجوا قوم السبل
التي تؤدي بالانسان الى الحق وبثواني الوجود روح العدل والايمان
فانتعشت ارواح المبادود وانت لهم جميع البلاد نعم من والاهم

من خلفاء الدول الإسلامية - لعمائمهم باتباع الخطط المؤدية
لتمهيد هذه الأمة وامتداد شرعيتها في الاقطار حتى أتاح الله لهم
من الفتوحات العظيمة والتقدم ما كان أشبه بسيل طمى على آسيا
فعم العرب والعجم وتجاوز حدود تركستان الى الهند والصين ودخل
أراضي الروم الإسلامية مشرفاً على أوروبا واتخذ له مجرى آخر فأنصب نحو
فلسطين ثم الى مصر وأفريقية واجتاز البحر الى الاندلس حتى بلغ ممالك
المغرب والأورباوية وهذا كله عمارة مذكورة على جميع الدول الأورباوية
تلك حين ذلك عالم تكن عناية من الله سبحانه وتعالى أراد بها
انتشاره - هذا الدين ليكون سبب انتظام العالم وانتشالهم من ورطات
التور والجهل فانه بينما كانت أوربا وقتئذ تحيط في ظلمات الجهل
خبط عشواء كان التمدن الإسلامي آخذاً بالانتشار شيئاً
في الأرض والأمة العربية منتصية سيف العدل لاسم اتصال جرائم
الجهالة من عنصر الوجود حتى تسنى لها في أقل من قليل تمدن أكثر
الاعم وارشادهم لطرق الصواب وكان تحت الخلافة الإسلامية حينئذ
ذلك في دمشق الشام (أعني دولة الأمويين) ثم الأتبار ثم انتقل
الى بغداد (أعني دولة العباسيين) وكانت عواصم المسلمين وقتئذ
تزهو بالعلماء وأرباب الفنون والصنائع كما كانت بغداد محطاً
لرجال التجارات المشرقية والمعرية تلوح في سمائها نجوم العلماء
وتنبأها بتقدمها على جميع البلاد

قال المؤرخون كانت بغداد تشتمل على ثلاثين ألفاً من القصور

وثمانية

وثمانية جسور ضخامة على دجلة واثني عشر ألف طاحون بجانبه
 وثمانية مسجد وثلاثمائة جامع وثمانمائة مدرسة واثني عشر
 ألف مكتب وثمانية عشر ألف حمام وبنف وكانت بما فيها كرمي
 الخلافة مركز التجارة بين المشرق والمغرب فكان فيها أكثر من ألف
 خان للقوافل وأربعمائة سوق للأقمشة وهذا دليل على ما كان لها
 من سعة دائرة التجارة والخبرات

قالوا ولم يوجد مدينة كبغداد لا في العلوم ولا في الصنائع ونحوها
 في مدة أجيالها الخمسة فلا الكوفة ولا المدينة ولا الشام قاعدة
 الخلافة الأموية ولا القاهرة تحت المماليك ولا مرقند ولا هي
 ولا قرطبة ولا القسطنطينية مع عظم بنائها وشهرتها

وفي الحقيقة كانت بعد ادخس وصاوساثر الممالك الإسلامية عروما
 في زمن الدولة العباسية تتمايل كالعرائس بسعة دائرة المعارف
 والعلوم فان الله لما صرف الملك عن الامور الى هذه الدولة
 المماليكية ثابت الهمم من عفاها وتارت الفطن من رقتها كان أول
 من عن منهم بالعلوم أبا جعفر المنصور قالوا وكان مع براعته بالفقه
 كفا بعلم الفلسفة وخاصة في علم النجوم ثم تلاه الرشيد وهو باعتبار
 بدء الخلافة من ابراهيم الامام سادسهم وباعتبارها من الساج
 خامسهم وقام هذا الخليفة أيضا بخدمة العلوم والدين أتم قيام وهو
 الذي أهدى بزمانه لشارلمان ملك فرنسا الساعة الدقاقة التي
 عدت في وقتها من فضائل العرب كما سيأتي تفصيل وصفها ثم لما

أفضت الخلافة لابنه المأمون ثم ما بدأ فيه حده المنصور وأقبل على طلب العلوم وسام ملوك الروم صلاته بآلديهم من كتب العلماء ف أرسلوا له ما استحضروهم منها وكاف لترجمتها مرة العلماء فترجمت له على غاية ما أمكن وجعل يحث الناس على قراءتها ويرغبهم فيها وكان لا يزال مجالس العلماء آتيا بالحكاية حتى بلغت شمس الخلافة في زمانه أقصى درجة الصعود ونال العالم الإسلامي غاية السور والحمد

وكان المؤمن يحب العلماء من كل نوع ويكرمهم لاسيما علماء
الافلاك ومن المنجمين في أيامه كان خمس الخاسب المروزي الاصل
البغدادي الدارولة ثلاثة أزواج أولها المؤلف على مذهب السند
هند والثاني المتحن وهو أشهرها ألهم بعد ان رجع الى معاناة
الرصد وأوحى له الامتحان في زمانه والثالث الزيج الصغير المعروف
بالشاه وله خلافها وبلغ من العمر مائة سنة ومنهم أحمد بن كثير
الفرغانى صاحب المدخل الى علم الافلاك يحتوي على حوامع كتب
بطليموس باعذب لفظ وأجمل عبارة ومنهم عبد الله بن سيار بن
نوح بنخت كبر القوم في فن النجوم ومنهم محمد بن موسى الخوارزمي
ومنهم ما شاء الله اليهودى كان في زمن المصور وعاش الى أيام المؤمن
ومنهم يحيى بن أبي منصور ورجل فاضل كبير القدر مكنى المكنان
ولما عزم المؤمن على رصد الكواكب تقدم اليه والى جماعة من
العلماء فاصطحبوا آلاته بشماسية بغداد وجعل قاسيون بدسقي

ومن الحكماء يوحنا البطاريق الترجمان مولى المأمون أميناه على
ترجمة الكتب الحكيمة حسن التأدية للعاني ألكن اللسان
في العربية وكانت العلامة أغاب عليه من الطب

ومن الأطباء سهل بن شاپورو يعرف بالكوسج كان بالاهواز في لسانه
خوزية وتقدم بالطب في أيام المأمون وكان اذا اجتمع مع يوحنا بن
ماسويه وجيورجيس بن يحيى شوع وعيسى بن الحكم وزكريا
الطينوري قصر عنهم في العبارة لا في العلاج

وكان المأمون قد قرأ في كتب الاوائل ان دور الارض يكون أربعة
وعشرين الف ميل ف اراد تحقيق ذلك فامر بني موسى الثلاث
المشهورين وهم محمد بن واحد والحسين بن أولاد موسى بن شاكر وكانوا
يعلمون جيداً علم الهندسة والحبل والموسيقى بأن يحققوا ذلك
ويحرروه فسألوا عن الارض المتساوية فاجابوا بصحراء شجار
وحققوا ذلك بارتفاع القطب الشمالي بعد عملية طويلة لا محل
لذكرها هنا

وكان المأمون أكرم الخلفاء وأحبهم للعالم والعلماء وأقام بزمانه
في بغداد مدرسة ادا لكيا ما زال الى زمن هلاكوفه درس مع مدارس
منها

وهكذا نالت هذه الامة في زمن هذا الملك وغيرة من الخلفاء
ما جعلها ان تعرق العالم باسمه بتقدمها في العلوم والمعارف الى درجة
ما أدركتها امة قط فان هم الخلفاء الاسلامية كانت موجهة نحو

تقدم هذه الامة وترقيها بكل ما أمكن من الوسائل اللازمة والاسباب
فكم منحوا من الجوائز والترجيح والاداء وقربوا منهم من المحاكاة
والعلماء وكان اذا امتدح أحدهم بقصيدة شعر أجاز مشهها بكذا
وكذا ديارا واذا ألف أحد كتابا راءه داء مخزاة منهم يكافئونه اما
بوظيفة من وظائف الديوان الخاص ويدنونه منهم ويقر بونه واما
أن يقطعوه من الصياع ما يكفيه ويكفي ذريته من بعده وما ذلك
الا لترغيب الامة في العلوم وحشها على طالب المجد حتى تقاطرت نحو
أبوابهم العلماء واستشارت العمول وأصبح كل يتألف الى التأليف
والتصنيف وما مضى على ذلك الاجيال ان ثلاثة حتى أنبتت بواسطة
هذه الامة روح العلوم والمعارف في الاقطار ونال ملوكها بياستهم
من الشهرة ما طبق الا فاق راصحت الممالك الاسلامية
كالشعوس بالاشراق وقد شهدت مقدمة بالفصل عظم سطوتها غالب
مؤرخي الافرنج وملوكها أيضا

ومن ذلك ما نقله صاحب كشف المخيا عن فنون أوروبا عن فلتير أحد
المؤرخين المشهورين قال وكانت ملوك الافرنج جميعا تستخدم الاطباء
من العرب واليهود والترم البابا يوحنا الثامن ان يدفع للمسلمين في كل
سنة خمسة وعشرين ألف رطل من الفضة وذلك سنة ٨٧٧ وقد دخلوا
إيطاليا ونهبوا كنيسة مار بطرس وقتلوا بالجيوش الفرنساوية
الذين كانوا أساءوا الى رومية لاجارة أهلها تحت راية القائد لوتاريوس
وفي القرن الثاني عشر كان المسلمون مستواين في اسبانيا على أحسن
البلدان

البلدان منها اورشليم ومرسية والاندلس والنسبية وغرناطة
وطرطوشة وامتد ما اليهم حتى الى وراء حبال قسطنطين وسيرفوسه
أما دار الخلفاء (يعني الامويين) فكانت في قرطبة وفيها ابنو المسجد
العظيم المشهور بقبوه مرفوعا على ثلاثمائة وخمسة وستين عمودا وهو
من مرمز غريب الصنعة بديع الاتقان ولم يزل معروف الى الآن باسم
ملك (أى مسجد) مع انه حول كنيسة وكانت الصنائع والفروسية
والابنية في عهدهم في مزيد وكان عندهم مواضع شتى للفرح واللهو
أما علم المساحة والملك والهندسة والكيمياء والطب فلم يكن الا في
قرطبة دون غيرهما من سائر المدن (وأظنه أشار بذلك الى مدن
الاندلس) حتى ان صاحب كروك ليون الملقب بالصحبي اضطر الى ان
يسافر اليها ليأخذ هذا الطب عن رجل كان مشهورا في عصره فلما
استدعى به الملك أحابه قاهلا ان كان للملك حاجة الى ولية دم على وقال
بعض المؤلفين ان المسلمين ملكوا من البلاد في مدة ثمانين سنة
بعد الهجرة ما لم يملكه الرومان في ثمانمائة سنة وقال أيضا
في كشف المحباني لآعن (فلتير) المد كورقيلان أول ساعة دقاقة
عرفت في قرطبة الساعة التي أهداها هرون الرشيد الى شارلمان
ملك فرنسا وقال قال في أيجدية الاوقات علم الحساب انما أخذ عن
العرب في اسبانيا ثم شهر في اوكثرا سنة ١٢٥٣ وقال صاحب مجمع
البحراني ان البابا سلوستر الثاني وكان يعرف أولا باسم جبريت
صار الى الاندلس وأخذ العلم عن العرب وكانت ولادته في سنة ٩٢٠

وانتخب باماني سنة ٩٩٩ وكان ماهرا في علم المساحة وجرا لا ثقال
والفلك وهو الذي بث رقم الحساب العربي في أوروبا وأول عمل
ساعة ذات رقاص

وحيت حى ذكر السادة فلا بد من استيفاء الكلام عليها قال مؤلف
المخترعات العجيبة ذكر المؤرخون من الفرنسـ يس أن أول ساعة
عرفت في بلادهم هي الساعة التي أهداها الخليفة هرون الرشيد
الى شارلمان ملك فرانسا وذلك في سنة ٨٠٧ وكانت بدعا في ذلك
العصر حتى انها أوردت رجال الديوان حـيرة وذهولا والظاهر انها
كانت من الآلات التي يديرها الماء المفرد وكان لها اثنا عشر بابا
صغيرة تنفتح بها الساعات فكما مضت ساعة انفتح باب وخرج منه
كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات وتبقى
الابواب مقنوعة وحينئذ تخرج صـ ورائي عشر فارسا على خيل
وتدور على صفحة الساعة انتهى ملخصا ماد كره في كشف المحبا
وقد ناسب ما اراد كرماتة له عن مؤرخي الافرنج أيضا صاحب
الشرف والمجد الوزير الاعظم خير الدين باشا التونسي في كتابه أقوم
المسالك في معرفة أحوال الممالك فقال

ففي تاريخ دروي وزير المعارف العمومية الآن ما معناه بينما أهل
أوربا تأنثون في دجى الجهالة لا يرون الصـوه الامن سم الحياط
اذ صاع نور قوى من جانب الامة الاسلامية من علوم أدب وفلسفة
وصـاعات وأعمال يدوعير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة

ومعرقند ودمشق والقيروان ومصر وفاس وغرناطة وقرطبة مراکز
عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت في الامم واغتنت منها اهل اوربا
في القرون المتوسطة مكتشفات وصداطات وفنون علمية يأتي بيانها
وفيها يقول كانت الآداب قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة
فيهم مؤداة بلعتين الحميرية في اليمن والفرشية في الحجاز والاخيرة
جاء القرآن (ولا يخفى عليك ان الذي يقابل الحميرية هو المضرية
وان وقع الاجماع في القراءة على نحو ص الفرشية) ولذلك اشتهرت
واستمر خلوصها الى وقتنا هذا ذابا بمرار كتب العلم والديانة وما
دخلت العجمة في اللسان الا بدخول الامم في الاسلام ونظا اول المسلمين
وللغة المذكرة من الاتساع وسعة الجهال ما لا يخفى على مثاونها
لا سيما في الاشياء التي بها اقوام المعيشة في البادية اولئك كرر رؤيتهم
لها أو تكثر حاجتهم اليها فقد يكون للشئ الواحد عندهم عدة أسماء
باعتبار تعدد صفاته وأحواله وبكثرة الترادف عندهم اتسمت لهم
دوائر الآداب الشعرية اذ يقال ان العرب عندهم ثمانين اسما
والثمان مائتين وللأسد خمسائة وللجمل العا وكذا السيف وللداحية
اربعة آلاف اسم ولا جرم ان استيعاب مثل هذه الاسماء يستدعي
حافضة قوية وللعرب من قوت الحافظة وحدة الفكر وما لا يسع احدا
ان يكره فن مشاهيرهم حماد الرواية الذي ذكر يومنا للعبادة الوليد
انه ينشد له في النحل مائة قصيدة والقصة مائة من عشرين الى مائة
بيت فتعجب المستمع قبل المنشء الى ان قال ولم يكن للعرب في أول

الامر الاتك الاداب ثم لما اتسعت لهم دوائر الفتوحات واختلطوا
 بالاعم الذين سبقوهم في الحضارة اتسع لهم نطاق المعارف فاحذوا من
 اليونان تأليف ارسطو وشرحوها بامعان نظرا - لكن من سوء البخت
 لم يأخذوا الفلسفة من كتب اليونان الاصلية وانما تعلموها من
 الكتب المترجمة بلغة أهل الشام فهم ترجوا المترجمة فلدلك لما
 نقلها العباسون العربى حفيد ابن رشد في أوربا في القرون المتوسطة
 وحدها من التحريف أكثر مما وقع فيها أولا وأما العلوم الرياضية
 فقد صادف العرب المرحى فيها والعصل في ذلك للعلماء الذين جاءهم
 الخليفة المأمون من القسطنطينية وفي أوائل القرن التاسع المسيحى
 أمر الخليفة المذكور عالمين من فلاكية بغداد ان يقيسا مسافة درجة
 واحدة من خط الطول بهجرا سنجار وبرزها لثبت بذلك تكوير
 الارض بالمشاهدة وقد تبين ذلك باختلاف ارتفاع القطب الشمالى
 عن طرف الخط المقيس وقد شرح العرب كتاب افايدوس وهدبوا
 فيج اقليموس وحرروا حساب تعريج منطقة البروج كما حرروا
 الفرق بين اوقات الاعتدال والفرق بين السنين الشمسية والرمية
 فوجدوا ان السنة الشمسية والسنة الزمنية عدة دقائق واحترعوا
 للتحريرات آلات جديدة الى غير ذلك مما يدل على ما للعرب من قابلية
 العلوم الرياضية ومنهم حازت مدينة مصر قد قبل أوربا كثير محل
 رصد عجيب وأما ما ينسب للعرب من اختراع الحبر والمقابلة والارقام
 الحماينة المسماة عندنا بالارقام العربية فلم يثبت بل انما تعلموا

ذلك مع فلسفة أرسطو بالملقى من عـيرهم وهى من العلوم التى
وجدوها فى اسـكندرية ويمكن انهم نقلوا البناء الى ذلك الوجه
الموصلة (أى بيت الابرقة و يقال له الحب) وأجارود الذى تعلموه من
أهل الصبر كما يعترف لهم أوربا بجزية احتراع السكاغدم من القماش وبذلك
كثرت الكتب ودانت أسـعارها وسهل الطبع وتوفرت نتائجها بعد
وجوده وقد اشتهرت العرب أيضا بمعرفة الطب الذى كافوا به من
كتب اليونان ولا بن رشد تعليلات عديدة على كتب جالينوس شاهدة
بما ذكره من فلاسـفتهم عدة أشخاص صاروا فى وقت واحد حكماء
وأطباء مشهورين مثل أبى علي بن سينا المتوفى سنة ستة وعشرين
وأربع مائة هجرية وابن رشد المذکور وقد باعوا من الشهرة الى
حيث صار أعداؤهم فى ذلك الوقت يرعون معالجتهم اياهم كما يحكى
ان بعض ملوك قـطانية كان اعتراف مرض الاسـنة فاشتهى ان
تكون معالجته فى قرطبة وحصل من انق الحايضة على الاذن فى ان
ينهب ويداوية المسلمون ومن ما ترحكوا العرب كيفية تقطير
المياه واستعمال الراوند وأدوية كثيرة ومن العلوم التى لهم العسل
فما الجعرا فى اسـبب تقدمهم فيها ان اتساع فتوحاتهم ورعيتهم فى
الاسـفار الخطيرة لاقتراض الحج عليهم انتخب لهم المعرفة بكثير من
البلدان الشاسعة التى لم يصل اليها أهل أوربا أو نسوها بعد ما كانت
معروفة لهم ومن مشاهيرهم فى هذا الفن أبو العلاء والمسـعودى
والادريسي وهذا الأخير هو الذى استدعا روجبره لك صقلية والى

عنده كتابه الغريب الذي سماه نزهة المشفق وأما علم التاريخ
 فمن تأليفهم فيه تاريخ المسعودي وأبي العلاء المذکور بن وتاريخ
 المقرئ بن غيره انتهى تاريخ مختصة بآبناء جنسهم وقل ان يوجد بها
 الكبريائك بمعنى انهم لا يسيرون منة ولا تهم عمار العقل كما اشار الى
 ذلك ابن خلدون ولا يخرجون عن دائرة الوقائع المجردة ولا سبب لذلك
 الا ما حكاه (سديو) في تاريخه الا ان ذكره من ان وجود التسلسل
 من المملوك في بلاد المشرق هو الذي كان يمنع المؤرخين من شرح
 جميع الوقائع ببيان أسرارها للخطر الذي كان يلحقهم في حكاية الحق
 وأما صناعة (الارشة كنور) أي هندسة البناء في اصطلاح الهياكل
 فلم يشغل العرب منها الا ما يرجع الى اتقان الابنية حيث ان
 شربتهم تمتع النصو بر على ان البناء نه لم تظهر لهم فيه اختراعات
 غريبة فالاصل عندهم في الاقواس المرفوعة على الاسطوانات ان
 تكون أكبر من نصف دائرة وهذا الشكل أخذوه من أبنية الرقيين
 وهم أمة من اليونان واعتاض العرب عن الصور المذهنية والمجسدة
 التي بنى بالنقش المسمى عندهم بنقش حريفة وكان في الاصل رسوما
 لها مدلولات ثم محروطة متقاطعة شبيهة بالحروف العربية التي
 يمكن ان يصور منها أشكال جديدة طريفة وكثيرا ما تعجب من اتقان
 تلك الحروف غير تراها على الزرابي والافوشة المشرقية ومن ما
 اثر العرب اصطلاح الجواي والعوارات والتزويق بالذهب والاحجار
 الثمينة كما مر التي كانوا يجلبونها من المشرق ومن مقاطيع اسبانيا
 الجوهرية

الجنوبية ومن أشهر أبنيتهم الجامع العظيم الذي بناه عبد الرحمن الأول
 في قرطبة وكان به ألف وثلاثة وتسعون أسطوانة وأربعة آلاف
 وسبعمائة قنديل ثم قصر الزهراء الذي لا يتأخر عن الجامع المذكور
 في العظم وقد بناه عبد الرحمن الثالث على شاطئ الوادي الكبير
 وبه ينبوع عظيم يغور منه شبه باقة من الزئبق ثم يسكب في قصعة
 من المرمر ومن يدع أبنيتهم جراء عريضة التي هي في آن واحد قصر
 وحصن وبها عدة أمور تصلح أن تكون مثالا للطاقة البناء وحصنه
 مخصوصا وسطها المسمى بـطحاء الاسود وأما القنطرة فقد كان للعرب
 حنين رغبة فيها في سائر الاوقات ثم لما امتدت سلاطنتهم من البر إلى
 وهي حبال بيرفرنس وأسيايا إلى جبال هملاي التي بأقصى شمال
 الهند صاروا أكثر تجار الأرض وأما العلاح فلا يعلم لهم نظير فيها
 إذ ليس أغبرهم ماله من الاقتدار على حلب المياه وتوزيعها بلطف
 في مزارعهم الواسعة تحت شمسهم المحرقة فسيرتهم في ذلك السائر بها
 إلى الآن أهل بانسية روضة اسبانيا صالحة أن تجعل السورة تقتدى
 بها في فلاحتنا المرانساوية وأما الصاعات فإن العرب تعلموا جميعها
 لما دخلوا بلاد الرومانيين العظيمة حتى صاروا من أحرق أربابها
 وكفاهم شهرة في ذلك سلاح طليطلة التي كانت تحت سلاطنتهم
 باسبانيا وحريرات عريضة والجوح الاحضر والاررق بديعة كونه
 والسروح والحروح والجلود بقرطبة وكان أهل أوربا يشترون هذه
 المهمات باعلى ثمن ويتأفدون فيها مع شدة نهرتهم من أهل المخالين

لديانهم وبأجملة فقد بلغت أسبانيا من العمران إلى هذه الشهرة
 في القرون الأولى من مدة الخلفاء حيث كانت العتق عن سأس كن من
 المشرق وقد تزايد غوس - كانوا إلى ان صار بمدينة قرطبة وحدها
 مائتا ألف داروس - ستماثة جامع وخمسون ماروس - تاناو ثمانون مكتبا
 عموميان وتسعمائة حمام ومليون نسما فهناك برناجها اجسا بالالتهم من
 الذي نشره العرب من شاطئ تاح وهو واد كبير بأسبانيا إلى وادي
 هندوس بالهند قد تايكاد بخطف نوره الابصار والكنه لمرعة غوس
 كان ممرضنا للطلب قال وتعدن أوربا اليوم كان ابطأ في السمو ولكنهم
 حصلوا بعد انقلايات وكوفات على ما يمكن به طول البقاء المقتساد
 في كل بطيئ العدو وقال في بيان امتداد ملك العرب قد امتد ما كنهم
 في طرف مائة سبعة من طهور الاسلام مثل ما عند عظيم الخليفة فاشحنا
 ذراعيه لالتقاط شئ فيبلغ من أقصى الهند إلى بيريني السكائنة بين
 فرنسا والماسانيا وقد رامت اد هذا الملك من سبعة عشر إلى ثمانية
 عشر ألف فرسخ ولم يبع - اع - هذا المبيع دولة من الدول الماضية
 وقد استمرت الديانة والاسان واحد - كام القرآن نافذة في غالب
 البلدان التي فتحوها واعتنت أوربا في القرون المتوسطة مكتشحات
 وصنائع وعلموا وان كان منها ما أخذوه من غيرهم لكن لهم الفضل
 في تهذيب ذلك وتحايده بعدهم ثم في النصف الثاني من القرن
 العاشر المسيحي توجه الراهب الفرنساوي حريير الذي جاس على
 المكرسي البابوي باسم سلعستر الثاني إلى مسلمي اسبانيا وقرأ هناك

علم الجبر والفلك وأجرى لأهل أور بالنصرانية من هلاجه ديداً من
معارف العرب وجمع خزائنه جارية من الكتب وصنع كرتي السماء
والأرض انتهى ما أمكن تلخيصه من كلام الوزير المشار إليه (أى
دروى وزير المعارف بفرنسا) وفي تاريخ العرب لسيدايو مدرس
علوم التاريخ بأحدى مدارس فرنسا وأحد أعضاء جمعية المعارف
بها ما معناه أنى مدة طويلة تنوف على العشرين سنة وأنا
مشتغل ببيان مزايا العرب على غيرهم من الأمم فيما يتعلق بالعلوم
والقدم فى التمدن مدة قرون متطاولة من أيام اليونان بالاسكندرية
الى أيام العصر الجديد فرمى أن أجمع ما تيسر لى من الأدلة على عظم
هذه الأمة التى لم يعرف قدرها الى الآن وأعرضه على ما يرى من
تكمال علمه فبقية أسس تاريخها لعمومها وإن كان ذلك مما لا تفي
به مطابقة لسان واحد وقيل الشروع فى ذلك على وجه الاختصار
يلزمنى أن أندب الناس الى التأمل فى أحوال هذا الجنس الذى كان
كثير العتوحات عديم الاستيلاء عليه فى سائر معازيه ولم يزل مدة أربعة
آلاف سنة على حال واحد فى اكتساب العصائل والمرايا التى تتميز بها
على غيره والتراتب والاعادات الخاصة به ومن حجب ذلك أن الوقت
الذى كانت فيه الممالك القديمة فى مبدأ تكويناها ذات حيرة كان
هذا الجنس ادراك قائم بانه قادر على الاعارة على غيره فقد
كانت ملوك بابل ومصر من ذلك الجنس مدة تسعة عشر قرناً قبل
التاريخ المسيحى ثم بعد ان رجع الى حدوده الأصلية دفع عن نفسه

سامية الفراعنة وملوك الشام وامتنع من تسلط قبضر واسكندر ودام
 في اسـ... تقلا له ضد الرومان الذين كانوا ملكوا الدنيا وبعد ظهور
 النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي جمع العرب أمة واحدة تقصد
 مقصدا واحدا ظهرت للعبان أمة كثيرة عدت جناح ملكها من نهر
 طاح في اسـ... مانسا الى نهر الفانج في الهند ورفعت على منار الاشادة
 أعلام التمدن في أقطار الارض أيام كانت أوربا مظلمة بجهالات
 أهلها في القرون المتوسطة كأنها في بيت بالمر ما كان عندها من
 التمدن الروماني واليوناني وبعد انقسام ممالك الاسـ... لام لم تتعطل
 العلوم والآداب التي نتجت عن أيديهم فان خلفاء بغداد وقرطبة
 ومهروان ضمنت قوتهم الملكية والسياسية فان سلطتهم الرومانية
 لم تنزل قربة مطاعة في كل جهة لاحتدادهم في توسيع دوائرها بقدر
 طاقتهم وقد مال النصارى الذين استطاعوا انحراح العرب من اسبانيا
 بالمخاطة معهم في الحروب معارفهم وصـ... نائتهم واخذ تراعاتهم ثم المفل
 والترك الذين تـ... اطواعا على اسـ... باوتد اولوها كانوا خدمة في العلوم
 فان تغلبوا عليهم من فرق العرب والى الآن لم نطلع في أوربا على الاصول
 التي تـ... بين لنا عادات العرب اطلاقا تاما اذ لم يعرف عندنا من
 قواريجهم الا تواريج أبي الفداء وأبي العرح والمقر يزي وابن
 الاثير ونبذة من تاريخ ابن خلدون وبجمل بالمر قواريج كثيرة
 فود لو نجد من يترجمها لنا وان كان المقدار الذي عندنا كافيا في رد
 غلط من غلط من أهل أوربا في شأن العرب ثم اني ذكرت في تاريخنا

هذا ما يتعلق بفتوحات الخلفاء الاوائل وبتاريخ بني أمية في دمشق
 وقرطبة وبتاريخ دولة بني العباس في بغداد والماطيين بمصر
 وبانقسام الممالك الاسلامية بالشرق بعد تسلط الترك والمهل عليهم
 فبيئت جميع ذلك بقدر الطاقة وردت عليه شيأ لم يوجد في التواريخ
 السالفة وهو برنامج التمدن العربي الذي توثقت عروقه في الدنيا
 القديمة واستمرت آثاره ظاهرة الى الآن كل من يبحث بالجهد عن
 أصل المعارف مناو في أوائل القرن الثامن من تاريخها تبذل ولوعهم
 بالفتوحات بالجهد في المعارف والعلوم فكانت اذ ذاك قرطبة ومصر
 وطليطلة وفاس والرقّة وأصبهان تتسابق في ميدان العلوم مع
 بغداد ففتحت بني العباس وترجعت في تلك المدة كتب اليونان وقرئت
 في المدارس وقرئت ومرت حركات عقولهم في جميع مواد المعارف
 الانسانية فتتبع عنها من الاختراعات العربية ما شاع صيته في أوربا
 فتبين بلاشك كال ان العرب هم أساتيدنا بلا انكار لانهم جهوا
 الادوات المؤسسة عليها انوار بحثنا المتوسطة وبدأوا بكتابة الرحلات
 واختراعوا القاليل في تاريخ وفيات الاعيان ووصفوا في صناعة
 اليد الى غاية لا تحصى وبقيّة آثار أبياتهم مما يدل على اتساع معارفهم
 وكذلك اختراعاتهم الفريية تزيد بيازافها نلهم التي لم ينزلوا الى
 الآن من نزلتهم التي يستحقونها بسببها فان علوم العيزريك والطب
 والتاريخ الطبي والكيمياء والعلاحة لما جاءت في أيديهم زاد
 فيها العربي مع كونها من المحمدية وسانت التي لانصرى لها همهم

هرفانا ما فكيف بالعلوم العقلية التي اجتهدوا فيها اجتهادا يفوق
 المحمد من مبداء القرن التاسع الى انتهاء القرن الخامس عشر ثم نقول
 مائة مائة مائة الا من منهم بحث الى ما بقى مجتهدا ولا لنا من ذلك
 وبالجملة فالعرب هم من منع فهو منا ومنه عارفا ولم تنزل الى الآن نظام على
 اشياء من محترعاتهم التي كانت منسوبة لغيرهم كلما قرأنا كتبهم
 ثم قال في شأن التمدن العربي انهم كانوا في القرون المتوسطة
 مختصين بالعلوم من بين سائر الامم وانه شاعت بسببهم هذاب
 البربرية التي امتدت الى اوروبا حين اختل نظامها بفتوحات
 المتوحشين ورجعوا الى القمص عن بيع العلوم القديمة ولم يكفهم
 الاحتفاظ على كنوزها التي تروا عليها بل اجتهدوا في توسيع
 دوائرها وفتحوا طرقا جديدة لتأمل العقول في عجائبها ثم استشهد
 بقول اسكندر هبط ان العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة بين
 الامم المنتشرة من شواطئ نهر افرات الى الوادي الكبير في اسبانيا
 وبين العلوم واسباب التمدن فتموا وانتهت تلك الامم على ايديهم لان لهم
 بمقتضى طبيعتهم حركة تخصهم اثرت في الدنيا تأثيرا لا يشبهه بغيره
 فكانوا في طبيعتهم مغايرين لبني اسرائيل الذين لا يطبقون خلطة احد
 من الناس فبخالطون غيرهم من غير ان يختلطوا به ولا يتبدل طبعهم
 بكثرة المخالطة ولا يفسدون اصلهم الذي خرجوا منه وما اخذت اعم
 الماسانيا في التمدن الا بعد مدة طويلة من فتوحاتهم بخلاف العرب
 فانهم كانوا يجهلون التمدن معهم فحينما احل بهم فبيدوا
 في

في الناس دينهم وعلومهم ولغتهم الشريفة وسميت ذبيبتهم وأشهرهم الشهيرة التي هي أساس بني عليه (المستعمروا التريديور) ثم قال بعد ذلك ونمود الآن فنقول انه ثبت عندنا بما صنفه العرب واحترعوه برجهان عقولهم الفريب في ذلك الوقت الذي وصل صيته الى أوروبا النصرانية وهذا حجة على انهم كما قال غيرنا ونحن نعتري به أساتيدنا ومعالموا انتهى ما نقله الوزير الاعظم خير الدين باشا عن هذين المؤرخين الشهيرين وفيه لاولى الالباب كناية

وما كان لهذه الامة من سعة المعارف والتقدم في ميادين الفضل انما كان ناشئا عن اتحاد عمالها وسياستها ملوكها ووضعهم الامور في مواضعها واحترامهم للاصول الشرعية وتعميرهم ازمة الاحكام لذوى الدراية والمكفاية ونظرهم في اهميات السياسة فنظر العاقل الحكيم وعدم استبعادهم في امور الامة ومشاركتهم لارباب الحل والعقد من الرؤساء والعلماء فيما ينبغي اجراءه في احوال المملكة وسياستها من جلب نفع او دفع مكروه لا كما يتوهمه البعض من ان الملوك في صدر الدولة الاسلامية كانوا مستدين بالامردون لارباب الحل والعقد بل الامر بخلاف ذلك فان مهمات السياسة والادارة في المملكة لا يتم نظامها ما لم تطرح في ميدان التأمل والتدبر وتبدي ارباب الحل والعقد آراءهم في ذلك على مقتضى الظروف ومناسبات الحال فانهم على كل حال ادرى باحوال الرعية لتردد نظرهم للاساق والوقوف على ما يناسب حالهم وأطوارهم فان

الملك مادام لم يتر ما نصره دون مائة حجاب لا يتمكن من رؤية أحد
 الا الوزراء والكبراء قل ان يقف على حقيقة أطوار عامة الناس
 وأحوالهم ولومهم ما عرفوه بذلك وليس الخبر كالعيان لذلك كانت
 سياسة الخلفاء غير خارجة عن اتحاد الآراء وأقرار العلماء والوزراء
 سواء على جلب نفع أو دفع مكروه ومما يحقق ما قلناه سير السياسة
 العربية على ٤٠٠ سنة واحد وثبات ملكها وتوالي غونجاحها حين ما
 كانت أمور الامم لا تصدر عن الملك ما لم يقر عليهم أرباب الحل والعقد
 بعد اتروى والاعتبار الى قيام المتوكل الخليفة العاشر من العباسيين
 (وذلك في سنة ٣٣٢ هجرية) لما أراد الاستبداد بالامور وكسر شوكة
 أمراء المملوكه وانه مراده بهام السياسة سبب انقسام هذه الدولة
 وتفرق كلمتها الى ان نشأ عن ذلك ضياع الملك من أيدي العباسيين
 ونواب البلاد وتششت الكلمة وذلك بان استدعى من أمراء
 الأتراك ورعايهم من سلمهم قيادة الجيوش وولاهم الحرس وسلم
 بعضهم أرمه الاحكام وقربهم منه وأدباهم وأبعد أمراء العرب
 وصادرهم ومنهم من قتله كالوزير محمد بن عبد الملك الزيات فانه أخذ
 جميع ماله وعذبه في السجن ثم قتله شر قتلة وقوى شوكة هؤلاء
 الأعراب الى ان صارت يديدهم معاتج الامور وعظم محاسنهم في قلوب
 الناس لما رأوا ان مكائهم من الخليفة حتى خالوا الاحكام ومدوا
 اليد التعدي على اساس وأول ما فتكوا به قردهم كان بنفس الخليفة
 المتوكل وهبوا يديه في مجلسه ليلا بقتلهم أحد أمراءهم المدعو

بمغى الصغير وهو بهر وهو بالسيوف ثم أقيمت بعده البيعة لابنه المنتصر
ثم أخذت أمور الخلافة السياسية بالانحطاط وتراجعت تلك الأمة عن
حركتها الأصلى إلى الوراء عند ما عظمت شوكة الاغراب وتلاعت
بالمملك يد الاغراض والاهواء واستبدت الامراء بالاطراف وأوجب
الامروا اختلاف الآراء إلى انقسام هذه الدولة إلى عدة دول لا محل
لذكورها هنا ما بين أميرم - ثقل وعاصم مستمد ومالك متعاب إلى غير
ذلك من الانقلابات التي كان سبب مشتها التفريط وحب الاستبداد
بالامروا حل يد الاغراب بالملك على ان اول انقسام حصل في دول
الاسلام انقسامها إلى ثلاث العباسيين في بغداد والعلويين في مصر
والامويين في الاندلس (أى العرب) لكن كانت كل دولة قادرة
حينئذ على الاستحصال على أسباب التقدم والفتوحات والمدافعة
عن الملك انما الخلل الذى طرأ عليها وسبب تلاشيها وانقسام
الانقسام ايضا في المشرق وأما الغرب فانها صارت أشبه بملوك
الطوائف بعد ما نالت في زمن الامويين من العز والمه والتمتع
في المار ف ما طبق به - بته الا فاق ثم ترتب على انقسامها - فوط
الاندلس من يد المسلمين وفضلا عن تلك الانقسامات وبينما جروح
هذه الأمة تقطر بالدم وما اندملت بعد من جرى هذه الانقلابات
اذدهم اهلها كويجيوش المتتار سنة ٦٥٥ هجرية فخر بملك
الاسلام وانقضت عن يد الخلافة العباسية في بغداد وكان آخرها
المنتصر ثم تلا ذلك نسكة تيمور التي فعلت بالممالك الاسلامية

ما ودعفت النار من بذر كره الشنيع وأفقده الإسلام بقية ما كان
لهم اثر تلك الالهوال من المصائب والمعارف ودرس أعلام الفضل
ودهب بآرباب العمون الى بلاده في ما وراء النهر

ثم في اثناء ذلك صدم المسلمين تيار أعظم من ذلك وأشد وهي الحروب
الصليبية التي دامت حروبها في الشرق متواترة وحيوش الأفرنج
اليها متقاطرة مدة جيلين حتى هلكت العباد وضاق بالناس الزرع
وتعطلت أسباب العمران الى أن نخر الله رجال الدولة الايوبية التي
أطاعت تلك العتمة العظيمة وانتهى من ثم الحصار بمدد واقع وحروب
بين المسلمين والأفرنج دارت بها الدائرة أخيراً على الأفرنج وطردتهم
المسلمون من الشرق وارتاحت بعدها أنواع الخلق

فهذه كانت عاقبة الانقسام وتعدى السلاجقة على النصاري
والاجانب الزوارجاء هذه الحرب العظيمة التي كانت سبباً لفقدان
أعظم المعارف الاسلامية ووسيلة توصل بها الأفرنج الى أسباب
التمرد والوقوف على المعارف الاسلامية بكثرة المخالطة التي أدت بهم
اليها هذى الحرب العظيمة

ثم بعد ذلك وضح حال دول الخلفاء وغيرهم من ملوك العرب
ما زالت الدول التي تشعبت بعدها في صدد وهبوط الى أن تأسست
سنة ٦٩٩ الدولة العثمانية وضمت اليها جميع الممالك
الاسلامية المتفرقة وأحدثت السياسية مع الناس وسارت أمور
ملكها على قدم التجاح باحترام ملوكها للأصول الشرعية وردت

للعالم الاسلامي روح القوة والمجد ولم تنزل الى الاكن صاحبة السيادة في كل مكان ومن مشاهير ملوكهم السلطان سليمان ثم لما اوصت الخلافة في وقتنا هذا الى السلطان ابن السلطان العازي عبد الحميد خان اشرقت شمس الخلافة في برج جديد وقوم هذا الملك العادل اودع اليك بآسنة من القواني العداية وبث اسباب التمدن وروح العلوم والمعارف بين الناس ولم يزل ادام الله سلطانه باذلاجه في تقديم عماله المحروسة بما يجريه فيها من الاصلاحات والتنظيمات وانشاء المدارس وتعميم المعارف ونماع مقاومة الكافرين وما يحول دون ذلك من الصعوبات مما هو مشاهد بالعيان وما يؤمل به في عدم عماله الى درجة الكمال من التمدن والعمران ابد الله مريد سلطنته وشيد بالعمار كانها ونهر مدا الزمان أعوانها اه

﴿ ذكر نبذة تتعلق بالتمدن الاورباوى ﴾

اعلم أن انتشار التمدن في اوربا انما كان ابتداء في اسبانيا حين ما كان المسلمون مسئولين عليها وقبل ذلك كان اهل اوربا لا يعرفون سوى العتق ولا يتفكرون بغير الساب والتهب لكن كثرة مخالطة الاسبان بول والا فرنج لمسلمي الاندلس وغيرهم اخذوا عنهم بعض هوائج حيرة وعلوم مفيدة ومن ثم امتد التمدن الى فرنسا وانكلترا حتى عم جميع اوربا وذكروا في مقدمة افوم المسالك أن الامبراطور شارلمان الذي أسس دعائم السياسة والاحكام كان أول ملك طهر في اوربا من وقت سقوط الدولة الى رمانية الى سقوط دولة الاغريق التي

كان تحت مملكتهما القسطنطينية العظمى وهو الذي أدخل العلوم
والاعمال الى مكة وكان يقضي غالب أوقاته في قراءة العلوم وكان
مجالسه محمودة فابا العلماء وأسس في باريس مدرسة جامعة لاسائر المعارف
وبمثل هاتئذ المسافر حصل من السمعة في أقطار الارض ما يستعمل
الحكمة هرون الرشيد الى صهيته ومهاداته بتحف منها ساعة لم تنزل الى
الآن في احد قصور فرنسا (وهي الساعة التي مر بها ذكركها)
قال ثم بعد وفاة الامبراطور المذكور وفقدان تدبيره تعطلت تلك
المصالح وتنازلت أوربا و بقيت مغمورة في دجي الجحول ستة مائة سنة
وفي هاتئذ المدة كانت وطأ الأقدام البربرية المدين كانت دولهم تتداول
عليها ومع ذلك الفشل التام فان أهل المكينة منهم كانوا يحافظون
على المعارف وعلى اللسانين اللذين لولا ههما ما انتفع بتلك الكتب
وهما اليوناني واللاتيني قال الناس عمومون لهم بذلك وفي القرن الحسادى
عشر الذى هو خامس قرون الهجرة النبوية ظهرت مساهدى علوم
ومصناعات وهندسة فى الابنية فانتشرت بها هياكل فى المساحية
العربية من اوربا واحذهم العاصمة فى النموبين محسورات كلامية
ومنازعات جدلية وظهر حزب العرسان الذين اشتهروا باسم الكمالين
وهم جماعة من وجود الناس تحالوا على أن يحسار بواقي الله للدافعة
من حرية النسوة والمستضعفين من سائر الالهالى وأن لا يلاحظوا
فى أفعالهم لاسيما المحاربة سوى مقتضيات الشرف الانصافى وعلو الهمة
ولو مع أعدى الأعدى مثلا يرحمون من يسترحمهم ولا يجهزون على
جريحهم

جرى بهم ولا يبتزون سلب قبيلهم - م ومن أواخره - هذا القرن إلى أواسط
القرن الثالث عشر كانت حروب الصليبيين مع المسلمين لافتة - كالك
بيت المقدس وقطع استيلائهم على الامم في زعمهم قال وانما اثريا
لهاته الحروب والعمرسان لبيان ما لها من الدخول في التمدن - لا وروباوى
فان مؤرخهم - م يقولون ان تلك الحروب وان هائكت فم انفوس
عديدة وأموال غزيرة بدون المحصول على المقصود وباللدات فانها
أعقبت نتائج نائمة لهم - م منها اهم من ذلك الوقت شرعوا في ترتيب
العلماء كرونولوجوا واصلاتهم لاهل المشرق صناعة التجارة والزراعة
ونحو ذلك وتحالفوا باحلاق الحصريته ودوا بالاسفار لاستكشاف
أحوال الاقطار فاطموا على أحوال آسيا المتوسطة وأحوال الصين
كما انهم بين يدينا كتاب (ماركوبولو) وبالحكمة في السبب المذكور وهو
مخالطة الأورباويين للاممة الاسلامية المتقدمة عليهم في التمدن
والحضارة كان اية سداد التمدن عندهم لاسيما في القرن الثالث عشر
ثم تهذب حتى وصل الى ما هو شاهد اليوم

ومن أعظم الاسباب التي اعادت أوربا على التمدن اختراع الطبوع
الذي سبب انتشار العلوم ونشأ عنه من المصلحة بين الامم ما لا يوصف
قبل ان الذي اخذ نزع طبوع الكتب غمر غم من أهالي ميانس
بالمساكن وأول ما طبوع منها كتاب في أشعار اللغة اللاتينية وذلك
في أواسط القرن الخامس عشر وقال بعض المؤرخين صناعة الطبوع
قد اختلفت الأقوال في مخترعها فبعضهم نسبها الى منتز وبعضهم الى

استرابورغ وهارلم وبعضهم الى فينيسيا ورومية وبعضهم الى فلورنسة
وباسيل وفي رواية ادريان حوئيوس ان مخترع الطبع هو يوحنا كستر
من هارلم طبع دلي حشب كتابا فيه حروف وصـور على وجه واحد
وذلك في سنة ١٤٣٨ قال وفي سنة ١٤٤٢ انشأ يوحنا فوست مطبعة
في ميتروطبع فيها كتابا وزعم به ص ان اول كتاب طبعه كان كتاب
المرامير وقال آخر لا شك ان الطبع كان مرفوعا عند اهل الصين وذلك
قبل تاريخ المسيح باحباب عديدة والاقوال في ذلك كثيرة والاصح ان
انتشار الطبع لم يكن الا في الازمان الاخيرة

وبالجملة فالطبع هو السبب الاعظم لانتشار المعارف والعلوم وقد
أغار أوربا على انشاء المدارس الكثيرة وتعميم الهوائد والعلوم حتى
أضحت مدارسها لا يعزب عنها دلم من العلوم ولا فن من الفنون
وحازت أهاليها من التمدن اسمى مكان وقد تمتعوا في كل شيء
وبرءوا في كل فن وأصبحوا احسن العالم ثروة وأعظمهم تجارة بعد
ما كانوا أسوأهم حالا وأقلهم مالا وتسابقت علماءهم ومؤلفوهم الى
الاختراعات العجيبة والتأليف العميقة وتعميم المعارف وتأسيس
المدارس والمعامل واصطباع الادوات والآلات لتسهيل الصناعات
واخصها المنسوجات التي بها توسعت دائرة التيارات الاورباوية
وحارت اوربا تمام اثرة والعنى حتى قيل كفاي كشف المخنات بلغ
في سنة ١٨٧٤ عدد المعامل في انكلترا والسكس وتلاند وارانلاند
(١٢٧٤) مع ملا وعد المستخدمين والصناع فيها (٦٨٥ و ١٠٠٥ ر)

منهم (٣٩٤ ر ٤٤) ذكورا (٦٤١ ر ٦١١) اناثا وبلغت المضاعفة
التي خرجت من اندكنا الى الخارج في سنة ١٨٧٩ (٧٥٨ ر ٥٣٠
و ٥٩١) ليرة وبلغت قيمة المجلوب لفرنسا في السنة المذكورة (٤٨٠
ر ٧٩٣) ليرة انكليزية (جنبيه) و بلغت جملة المخرج منها
في السنة المذكورة (٦٠٠ ر ٥٢٣ ر ١٢٦) ليرة وفي الاحصائيات أن
قيمة المجلوب الى بلاد روسيا بلغت في سنة ١٨٦٠ (١٨٣ ر ١٠١)
روپلا وكل روپل عبارة عن أربع فرنكات وقيمة المخرج منها
بلغت (٨٥٤ ر ٥٢) وبلغت قيمة المجلوب الى اوستريا في السنة
المذكورة (٤٧٢ ر ٦٣١ ر ٣٢٩) ولورين وكل فلورين عبارة عن
فرنكين ونصف و بلغت قيمة المخرج منها على ما ذكره في كشف
الخبايا (٧١٦ ر ٨٢٩ ر ٣٠٦) وهذا كله عن احصائيات سنة ١٨٦٠
وسنة ١٨٧٩ مسجلة وكم تكون تحسنت الحال من وقتها الى الآن
يعنى سنة ١٨٨٧ وأظنه أضعاف ما ذكر لان الاشغال والتجارات
الاورباوية أخذت بالنمو والارد يادي يوم عن يوم وقال انه يوجد
محل في ارلاندا يحبس أحد الانكليز فيه أربعة آلاف شخص
مستخدمين في عمل القمصان يصنعونها باوات الدار وهذا القدر
بمنزلة خمسة آلاف شخص فأي فرق يرى الآن في بلاد الانكليز
وقد صارت تمد جميع الدنيا بمصنوعاتهم وتسكنو الناس والديار
والحيوان بمسوحاتهم بعد ان كانت تبعث الثياب الى هولندا لتصبغ
هناك وتعاد اليها التبييض و بعد ان كانت تنظر احد الهارين من

فرانسوا وغـ يرها ان يأتي اليها ويث فيها صنعة من الصنائع فان هذا
 الذي يباع الذي يسمونه داسك (داسـ قو) أصل صنعه كان
 في دمشق ثم حاكهم فيه أهل هولاند وفي سنة ١٥٧١ هـ ربح منهم
 جماعة بسبب طالم الامير اما وحوره عايمم فجاؤا الى بلاد الانكاز
 وصنعوه فيها قال قال مؤلف الخـ ترعات العجبة اما صنعة النسيج
 فقد كانت معروفة في بلاد الصـ من قبل ان تعرف في اوربا بدهر
 طويل والعزل عندهم والنسيج انما هو من شغل النساء وأول من
 صنع ثياب الصوف في بلاد الانكاز رحلان قدما من برايان ثم قدم
 من هولاند صباغون وبرززون وصناع للحرير وشهروا هذه الصنائع
 بين الـهـلـن وذلك في سنة ١٥٦٧ ثم قال في عبارة أخرى واذا نظرنا
 في أحوال الانكاز هذا القديم وحدها ان ملابس أهلها انما كانت
 من جلود الحيوانات وان ثياب زعمائهم لم تكن الا من الكرباس
 الخشن كأنما هو مع حتى ان المراسا الذين تنوهم التواريح
 كانوا ذانزعوا عنهم الدروع للساعة يشع عنها ثياب الجلد فلما عرف
 السمع في العصر المتأخرة كان العزل كما لا يخفى من صنع النساء
 وبقى الحال على ذلك دهر اطويلا الى ان قبض الله ارك ريت والقي
 في روعه استنباطا لـ للعزل تكون دائمة الحركة فوفق الى ذلك ونجح
 ما أمكن قال ولد ارك ريت المـ في سنة ١٧٣٢ وبقى الى
 سن ستة وثلاثين من عمره حامل الذكر مشغلا بالخلافة ولم يكـ
 يحصل من حرقته شيئا زائدا على قوت يومه الا انه كان ذا فـ كرصائب

في جبر الاثقال فما زال يعمل في فكره في اختراع آلة الغزل حتى تسنى له ما قصده. لـكن بعد صعوبات شتى فلما اشتهر بمخترعه اُجازت له الدولة أن يستمد بمناقضه الى مدة مديدة فانشأ عميلاً في دري ولم تنض عليه مدة حتى أحرز أموالاً طائلة وطارده كره بين الناس فحدث في استنماطه هذا في أشغال السجج تغبير عظيم من تنقيص الصناعات

وترخيص سعر الثياب اهـ

أقول إنما أحييت امرأه هذه الجملة لما بها من العبرة لكل عاقل يرى كيف أن الانكسار والاجترار في جميع أوربا بعد ذلك هم المـسـوح والصوف الحشن أصبحوا من التمدن في درجة خواتم التفتن بلباس الحرير والتعم في ظلال الرهاية ورغد العيش وكيف أن الهجم البشرية تتخرج بالإنسان من ضيق الجهل الى ذرى الجهد وكمال التقدم فان ما بلغت الامم الاوربية الآن من التمدن والمعارف والتعنى بالعلوم والصنائع قد جعلها أعنى العالم وأعظمهم قوة والفصل في ذلك لدوى العقول الفادحة من علماءهم ومخترعيهم الذين ما تركوا من صناعات الامور شيئا الا ودلوا بها انهم ترعوه من الآلات والادوات والصناعات الجسيمة والتسهيلات الغربية وأخصها قوة البخار التي سارت بها السفن البخارية والسكك الحديدية وتوفرت بسببها نتائج الاشغال التجارية وكثرت المعامل الصناعية وقرب تواصل الايدان والمدان الى غير ذلك من المنافع التي نبرهن عن مزيد تقدمهم بالمعارف وعلوهم

قالوا ان اول مخترع لآلة البخار مركيزورستر الانكليزي وذلك
في زمن شارلس الاول في سنة ١٦٦٣ واول تجربة اجراها كانت
في مدفع وذلك بان ملائحة ثلاثه ارباعه ماء ثم سد ترقفه ورفعه وادناه
من البار فحواربع وعشرين ساعة فانفلق بدفع شديد فله ذلك
على ان قوة البخار اعظم مما يدركه الانسان وروى عنه انه قال قد
جعلت الماء ينبعث من الجدول ارتفاع اربعين قدما والانا الذي
فيه بخار يرفع اربعين انا ماء ثمانمائة الان ما انتجته فذكرته لم يكن
كافيا للحصول على تمام تلك القوة اولان الناس في زمانه لم يكتفوا
بذلك ثم في سنة ١٦٩٠ فذكر في شأنها المهندس دايونس يابن
الفرنساوي الذي ينسب له المهندس ذلك الاختراع الى ان ركب
في سنة ١٦٩٥ الآلة البخارية بايستون وهوشى يشبه مدق
المكحلة ثم قام مترنيسوكومن ومستر كين فترجوا لدوودون بلور
ووط وباطون وبعد ذلك قام القبطان شافك فانشأ سميعة لتسافر الى
كندا في مدة حرب الامريكانيين ونجح وفي سنة ١٦٨١ اخترع يابان
آلة من هذا القبيل ثم قام صفري فصنع اداة لاصع الماء وذلك في سنة
١٦٩٨ ثم قام غيرهم وكل منهم اتقن شيئا اوزاد فيه قالوا اول بانرة
انشئت في انكلترا كانت في سنة ١٨١٥ وفي ايرلندا سنة ١٨٢٠
واول بانرة سافرت الى بلاد الهند كانت في سنة ١٨٢٨ وكان انشاء
البوانا الحربية في انكلترا سنة ١٨٣٣ وفي سنة ١٧٧٥ صنع الماكينجي
مريا المهندس الى آلة المذكرة والقاهساعلى وادى دوت بفرنسا وفي

سنة ١٧٨١ ألفى على وادى ص - ون بفرنسا أيضا - هيئة كبيرة
من ذلك النوع وفي سنة ١٨٠٣ قام بباريس فلطن الأمريكاني
ووضع على وادى سون أول واپورتنام بالهجلات وذلك بمونة أحد أبناء
وطنه ويدعى ليونستون ولكن لم يتم هذا العمل المفيد بفرنسا لعدم
اعتناء الدولة به في ذلك الوقت ولما آيس فلطن من نجاح سعيه
هناك عمل مخترعه الى وطنه في أمريكا وأشهره ما يقول أهل فرنسا
ان من س - و البحث عدم الحجب بال الدولة في ذلك الوقت له - ذه
النتيجة الباهرة اه

وحيث ورد معناني عرض الكلام ذكر المدفع فلا بد من ايراد بعض
أقوال تتعلق بتاريخ اخ - تراءه قال في كشف المخبر اعلم بعض ان
استعمال المدافع كان في سنة ٣٣٣٨ ورعوم بعض انها هرفت في حرب
كرمي وذلك في سنة ١٣٤٦ وقبل ان الانكياراستعملوها في حصار
كالي سنة ١٣٤٧ او قال بعضهم ان برنس والس المعروف بالاسود اسود
درعه ورشته انه هزم على فيليب فلوي الملك فرنسا عند شهرهم وكان
من أقوى الاسباب التي اعانته على ذلك بعض مدافع كانت مع عسكره
فان المدافع لم يشهراستعمالها قبل تلك الواقعة الا بنحو اثني عشرة
سنة ولم يعلم من كان المخترع لها اه

وفيليب المشار اليه ولي الملك في سنة ١٣٢٨ ويوجد في برج حرمانيا
مدفع طوله ثمان وعشرون قدما ونصف قدم ووسع قطريه قدم
ونصف ووزن كائنه مائة وثمانون رطلا ومائة من البارود أربعة وتسعون

وطالوا به لم من نقش رسم عليه انه صنع في سنة ١٥٢٩ فاما احداث
البارود فكان قبل استعمال المدافع بعشر سنين وذلك في سنة
١٣٣٦ يعني احداثه في اوروبا لان البارود كان معروفا عند الصينيين
من قبل المسيح ليكن كان استعماله لاصلاح لالتدبير كتمهيد
الطرق وذلك لئلا يلال ونحو ذلك وطن بعضهم ان مخترع البارود
راهب من بروسيا اسمه مخائيل شوارتزواله نقله عن العرب كما نسب
البعض اختراعه اليهم وان مع ذلك فانهم هم ايضا نقلوه عن الصينيين
هذا وفي سنة ١٥٤٤ استعمل فرسان الانكليزا الفرد اي الطبيب
ومن اعجب ما اخترعه الاورباويون سلك البرق (التلغراف) الذي
نشأ عنه من الفوائد وتسميته بل الاشغال مالا يذكر فصار له من كان
يصدق ان حرايسند هي تايغ من بلاد آخر عشر عشرة اربعة ايام
او اقل او اكثر يرباع وياتي جوابه بدقائق قابلية من الزمن فهذا
لعمري الحق لمن اعظم ما يحق لمخترعه الدكر وان لا يذكر فضل
اختراعه هذا الدهر لما به من الفائدة العظيمة التي اجمع الانبياء بخارية
كانت اوسياسية باسرع من شرب الطير وادارها استقصاء فوائده
يكل عنها القلم مع انها اشهر من نار على علم واما اختراعه فقد كان على
ما ذكره في كشف الخبايا بعد تعب وكرو حيدرية ففي سنة ١٧٩٤
نصب ريزر تافرا فامكن استعماله الا انه اقل فائدة من المستعمل
الآن وقد كان قبل ذلك استبدل العلماء على امكان تليغ خبر من بلد
الى آخر باسرع وقت حين استعمل فرنكاي الامر يكافي الطيارة

المعروفة بالبالون وظهور له خاصية الكهربية البرقية وذلك انه صعد
بتلك الطائرة في يوم ذي حجن وكان قد ربط حرسها الى وقدين وأباط
بها مفتاحا ولما غش بها العمام وجهدا ببعض خيوطها فدفقة هس
وتحافى عن بهس منتسب بافادى برجة من المعتساح فاحس بشعر
البرق وتبعه العلماء من ثم فى اتحاد طريفة لتبليغ الاخبار للمجلات
الشاسعة بواسطة اداةوا كتشعوا على اشياء تناسب ذلك الى ان رضع
وزير التمارف المقدم ذكره ثم قام بعده من مجمع واقفن هذه العملية
الى سنة ٨٢٧ اقام الدكتور كوك وويتس طون واخذار خصمة من
الدولة لاجراء هذه العملية فى بلاد الانكازوفى سنة ١٨٤٢ نصب
المستروء الاسلاك على دعام وقد كانت من قبل فى الارض تمر من حلق
من القنار وبذلك سهل نصب الاسلاك غليظة من الحديد بدل
الخماس فنقصت المساريف نحو النصف وهكذا ما زال العلماء
يجهدون يتحسبونه واثقانه حتى اسعمل كما نراء الاكن وامتد
استعماله فى انكازا ثم فرنسا وجميع اوربا الى ان وصل الى المشرق
وهم لم يزلوا يوجدون طرقا لافلاسه استعماله ويتفنون بتطعيمه
واثقائه وبالهسا من مائة عظيمة وفائدة عظيمة
ولما كانت اكتشافات واختراعات الاوربا بين التى من هذا
القبيل كثيرة جدا فقد اقتصرنا على ما اوردناه منها فى هذا الباب نظرا
لاهميته وهو دليل كاف على ما لهم من سعة دائرة المعارف التى يادوا
بها انهمى درجة التمدن وحازوا مزيد الشهرة والتقدم وآثارهم

بالغنون والمعارف لا تشكروهم أشـهر من أن تذكرو ما ذاك الامن
اقبالهم على العلوم وتأسيسهم المدارس العظيمة المنظمة وتعاينهم
على المصالح الوطنية بكل ما تقتضيه المصالح البشرية والواجبات
الانسانية ومن أراد الاطلاع على تمام أحوالهم وأصول تمدنهم وعمدان
عمالهم وتقـدم بلادهم وتوفر ثروتهم فليراجع كتب التاريخ
والرحلات الحديثة التي تحتوي على أخبارهم المشاهدة بالعيان
فسـبحان خالق الانسان ومزينه بالعقل وهو الهادي الى اقوم
السبل انتهى

يقول الفقير الفقير بن المرحوم محمود بك بن المرحوم خليل بك الشهير ببار
العظم الدمشقي هذا ما تيسر لي جمعه وإيراده في هذا الكتاب فاعلم ان
تكون به لا بنساء الوطن فائدة ترشد الى الصواب وقد استعنت على
تصحيحه بالعالم الماضل والبحر الخبير الفهامة الكامل صاحب العبرة
والمصيلة الشيخ عبد الهادي نجا المصري الا يبارى حفظه العزيز
البارى فارجو عن اطلع عليه وحل محل القبول لديه ان يعامل
قصوري بالغفران اذ انه أول ما تصديت له التأليف وكان العراغ من
تبييضه نهار الاثنين الواقع في ٢٨ جمادى الاولى
سنة ١٣٠٤ هجرية على صاحبها
وعلى آله أفضل الصلاة
وآتم التحية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي جعل التمدن والعمران سببا في بقاء نوع الانسان
 والصلاة والسلام الاثنان على سيدنا محمد اشرف بني عدنان وعلى
 آله ذوى البراعة العائقة وأصحابه ذوى الهمم العالية والصفات الرائقة
 (أمانه) فيقول المقبر الى الله مصطفى محمد قشيشة قد تم طبع كتاب
 البيان في التمدن وأسباب العمران وهو كتاب جليل المنزلة كبير
 الأهمية وإن صغر حجمه فقد عزز عالمه فله در مؤلفه ومحرره
 ومصنعه فقد أهدى فيه دررا وأوضح غورا حتى استحق المديح
 بكل لسان على ما أسداه من البيان وكان تمام طبعه
 بالمطبعة الاعلامية ذات المسائر البهية في يوم

الجمعة الموافق ١٤ رجب الاصب من

عام أربعة وثلاثمائة وألف من

هجرة متقنة تحفقه الله

لم كل وصفت

ر

﴿ فهرست الكتاب ﴾

صفحة	المقدمة	
٣	المقدمة	
٧	الباب الاول في ميل الانسان للحضارة والتقدم بالطبيع	وحقيقة التمدن الذي هو اتباع ما جاء به الشرع وفيه ثلاثة فصول
٧	الفصل الاول في قابلية الانسان للتربية وطلب العمران	
١٣	الفصل الثاني في قابلية الامة الاسلامية للتمدن أكثر من غيرها	
١٥	الفصل الثالث (وكتب الثاني علطا) في حقيقة التمدن الذي هو اتباع ما جاء به الشرع وسنه الرسول	
١٨	الباب الثاني في العلوم والمعارف والبحث على التمتع بظواهر الوارف وفيه فصلان	
	الفصل الاول في العلوم وأصول التعلم والتعظيم وبيان ما في ذلك من النفع العظيم	
	الفصل الثاني في البحث على طاب المعارف والتمتع بظواهر الوارف	
	الباب الثالث في واجبات الاوطان والحرية والعدل اللذين هما سبب العمران وفيه أربعة فصول	
٣	الفصل الاول في الكلام على الوطن وما في الترحل عنه أو السكن	
٣٢	الفصل الثاني في الحقوق الوطنية	
٣٥	الفصل الثالث في الحرية العمومية	
٤٣	الحاتمة في ذكر التمدن الاسلامي والتمدن الاورپاوى	
٤٤	الفصل الرابع في ذكر العدل وانه سبب العمران	
٤٥	ذكر نذاتهماق بالتمدن الاسلامى	
٦٧	ذكر نذاتهماق بالتمدن الاروپاوى	

